

الأزهر

ثقة رير علمي

الأستاذ الدكتور

محمد حمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

بيان الكتاب

عنوانه: مستعدین للمجاوبة

إعداد: د. سمير مرقص

الصفحات: ٥٢ صفحة

ليس هناك تعريف بالناشر ولا مكان النشر

ولا تاريخ ولا رقم الابداع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَمَهِيدٌ

في مدينة "كلن إير" بولاية "كولورادو" - بأمريكا الشمالية - عقد المنصرون الأمريكيون - في ١٥ مايو سنة ١٩٧٨م - أخطر مؤتمرات التنصير.. وأكثرها طموحاً.

• وبعد أن كانت أهداف التنصير - في صفو المسلمين هي: التنصير بين المسلمين.. طمحوا في هذا المؤتمر - إلى تنصير كل المسلمين، وطي صفحة الإسلام من الوجود!

وبعد أن كان التنصير - تاريخياً - مرتبطة بالغزو الاستعماري الغربي لعالم الإسلام، وببلاد الجنوب - الأمر الذي ربطه بالاستعمار، وقل جاذبيته وقبوله - قرر المنصرون في هذا المؤتمر التنصير من خلال اختراق القرآن والثقافة الإسلامية، ليكون الإسلام باباً لعوائد النصرانية، وتكون مصطلحات القرآن - حول "كلمة الله" و"روح الله" - أو عية تصب فيها المضامين النصرانية!.

ولقد قالت وثائق ووصيات هذا المؤتمر - عن هذا الهدف.. هدف اختراق الإسلام، للتنصير من خلاله: "إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. وإن النظام الإسلامي هو أكثر الأنظمة الدينية المتباينة اجتماعياً وسياسياً، إنه حركة دينية معادية للنصرانية، مخططها تحطيطاً يفوق قدرة البشر..

ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، تؤسس حول العالم، بواسطة النصارى، للتركيز على الإسلام، ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام، وللتعامل النصراني مع الإسلام، وإنما لتوسيع ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء"(١)!!..

إن هدفاً هو غرس المسيح وتعاليمه في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية.. وأن ندعوا إلى "مسيح متجسد بشكل إسلامي"، كي يصل إلى المسلمين..(٢).. ولذلك، فعلينا أن نعطي اهتماماً خاصاً باستخدام الموضوعات القرآنية ذات الصلة بالتنصير، من مثل كلمة الله وروح الله ورفع عيسى إلى الله.. والاستفادة من المكانة الجليلة التي يتمتع بها يسوع في الإسلام، لنجعلها نقطة انطلاق لإقناع المسلمين بصحة ما يرويه الإنجيل عنه.

إن المسألة النهاية هي ماهية المفاتيح والحلول التي يمكن أن يقدمها لنا القرآن لزرع الثقة بالإنجيل في العالم الإسلامي.

إن المسلمين بحاجة إلى أن يتم اللقاء بهم داخل إطار الإسلام.. وذلك دون أن يكون هناك مكان لمحمد بجانب المسيح!..

ويُفضل النصارى العرب في عملية التنصير.. كما يجب الاعتماد على الكنائس المحلية في تنصير المسلمين.. وعلى العمالة الأجنبية.. واستغلال الكوارث، التي تلجم البلاد الإسلامية لطلب المساعدات، فتجعلها أكثر قبولاً للمنصرين"(٣)!!.

ومنذ ذلك التاريخ - ١٩٧٨م - اعتمد التنصير والمنصرون - في العالم الإسلامي - هذا المخطط، الذي رسمه هذا المنهاج الجديد للتنصير - مخطط اختراق الإسلام.. وليس المواجهة الحادة وال مباشرة مع الإسلام!.

١- التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي وثائق المؤتمر - الترجمة العربية - ص ٧٥٢ - طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي - مالطا سنة ١٩٩١م.

٢- المصدر السابق ص ١١٧.

٣- المصدر السابق ص ٦٨، ١٢٠، ٢١٧، ٤٢٠، ٥٩٥، ٦٤٥، ٥٩٦، ٣٨٣، ٤، ٥ - ولقد طبعت وثائق هذا المؤتمر بالإنجليزية سنة ١٩٨٧م.

The Gospel and Islam Compendium
وانظر - في تفاصيل هذا المخطط - كتابنا (الغارقة الجديدة على الإسلام) طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٧م.. وهي الطبعة الرابعة لهذا الكتاب -.

هذا الكتاب

ولقد جاء هذا الكتاب – الذي بين أيدينا – (مستعدين للمجاوبة) – نموذجاً تطبيقياً يجسد هذا المخطط الذي رسم في مؤتمر كولورادو – أواخر سبعينيات القرن العشرين.

- فصورة أوراق هذا الكتاب تجعله أقرب إلى "المنشور التنصيري" أكثر من كونه كتاباً.
- فهو مجموعة أوراق مطبوعة على صفحة واحدة – تضم كل ورقة صفحتين من صفحاته.
- وعلى الغلاف صورة منظر طبيعي أغلب الظن أنه أجنبي الطراز.
- وعنوان الكتاب – (مستعدين للمجاوبة) – وإن كانت كلمة إنجليلية – إلا أنه يعلن أنه موجه إلى غير المسيحيين.
- وأغلب الظن أن اسم المؤلف – د. سمير مرقص – غير حقيقي.. فليس بين نصارى مصر، المشتغلين بالفكر الديني – في حدود علمي – من يحمل هذا الاسم.. وإنما هناك مهندس.. لا يحمل الدكتوراه – له نفس الاسم.. لكنه يكتب في "شؤون المواطنة" .. وليس في المسائل اللاهوتية.
- والكتاب يتالف من تقييم.. وخمسة فصول:
 - تقديم عن الأسلوب المسيحي في الكرازة والحوار.
 - الفصل الأول عن: صحة التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما.
 - الفصل الثاني عن: إنجيل برنابا – إنجيل مزيف.
 - الفصل الثالث عن: المسيحية ديانة موحدة.
 - الفصل الرابع عن: قضية الغفران وضرورة الفداء.
 - الفصل الخامس عن: القضايا الصغرى.

والتقديم – في هذا الكتاب – ص ١-٧ – يرجح أنه "منشور تنصيري" .. لأنه يرسم منهاج عرض المسيحية على غير المسيحيين.. وليس موجهاً لدعم إيمان المسيحي بعقيدته.

فهو يتحدث عن الكلام بلطف ووداعة مع المخالفين.. وخدمتهم، حتى لو أساءوا..!

وهو يستشهد على هذا المنهج بآيات من الأنجليل.

كما يطلب هذا المنهج معرفة معتقدات الآخرين، ودراسة كتبهم، ومعرفة ما يسيئون فهمه من الكتاب المقدس، ويستشهد لهذا المنهج – أيضاً – بآيات من الأنجليل.

فهو "تقديم" يرسم أسلوب التنصير.. وكيفية عرض المسيحية على غير المسيحيين.

- وبسبب من أن أوراق هذا "المنشور التنصيري" لم تقف عند عرض العقائد المسيحية.. والدفاع عنها.. وتقديمها لغير المسيحيين – بهدف تنصيرهم – . وإنما تجاوزت هذه الهدف إلى التعرض لعقائد الإسلام، وذلك بمحاولات الاستدلال بالقرآن الكريم على صحة العقائد المسيحية التي يرفضها القرآن والإسلام.. وأكثر من هذا، تجاوز هذا "المنشور التنصيري" ذلك إلى الطعن في عقائد إسلامية أساسية، محاولاً تنفيذه.. وسلوك سبيل الكذب والتداليس على علماء الإسلام – من مثل الإمام الفخر الرازي (٤٥٤ - ٥٠٦ هـ) – (١١٥٠ - ١٢١٠ هـ) والإمام البيضاوي (٦٩١ - ١٢٩٠ هـ) لجعل القرآن والإسلام يشهد لنواتر الكتاب المقدس، واستحالة تحريفه.. والقبول بعقيدة صلب المسيح – عليه السلام – وتلبيتها!.

لتجاوز هذا "المنشور التنصيري" عرض المسيحية، والدفاع عن عقائدها، إلى الطعن في القرآن والإسلام، والكذب والتلليس على علماءه، لقسراً الإسلام على أن يشهد للعقائد التي يرفضها.. لذلك، فإن الواجب هو الرد على ما جاء بهذا الكتاب.. وليس فقط التوصية بمنع تداوله.. وذلك قياماً بفرضية: تبليغ الدعوة، وإقامة الحجة، وإزالة الشبهة.. بل الشبهات التي تضمنها هذا "المنشور التنصيري".

وإذا كان الدين – أي دين – إنما يتمحور حول "عقيدة" تمثل النواة لهذا الدين.. و"كتاب" هو المرجع لهذه العقيدة، ولثوابت هذا الدين.

فإننا – في الحوار الموضوعي – مع دعاوى هذا "المنشور التنصيري" .. سقف عند القضايا المحورية التي دارت حولها أهم الدعاوى التي وردت فيه:

١- قضية الكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد.. وهل استحال على التحريف - كما يدعى هذا "المنشور التنصيري"؟.. أم أنه قد أصابه التحريف؟.

٢- قضية التأله النصراني للمسيح – عليه السلام .. ودعوى أنه ابن الله.. وكلمه أي عقله – الذي أصبح – في العقيدة النصرانية – إله حقيقي.. الخالق لكل شيء.. والذي بدونه لم يكن شيء.

٣- قضية العصمة والخطيئة والمعجزات – التي توسل بها هذا الكتاب إلى تأله المسيح..

حول هذه القضايا الكبرى سيكون حوارنا مع دعاوى هذا الكتاب.. مع كشف الكذب والتلليس الذي مارسه كاتب هذا الكتاب ضد أئمة الإسلام وعلمائه كي يجعلهم يؤيدون العقائد التي يرفضها الإسلام.

تلك هي القضايا.. وهذا هو المنهج الذي سنعرض به الرد على دعاوى هذا الكتاب.

(١)

صحة التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما

لقد كرسـت أوراق هذا الكتاب الفصل الأول - ص ٤-٢.. للحديث عن هذه القضية - وفي هذا الفصل يقول الكاتب:

"يدعـي البعض بـحدث تحرـيف في التورـاة والإنجـيل، ولكنـهم لا يـقدمون أي دـليل على ذـلك، وـهو مجرد افتراض واتهـام لا سـند لهـ، وفي حـديث نـبوي: "الـبيـنة عـلى مـن ادـعـى".
أـي كلـ من يـدعـي بأـي اتهـام يـجب أن يـقدم الـبيـنة، أي الدـليل عـلى صـدق إـدعـاهـ".

الأـدلة عـلى تحرـيف التورـاة

• وـعملـا بـمنهج "مستـعدـون للمـجاـوبـة" .. وـاستـجـابـة لـطلب كـاتـب هـذا "الـمنـشـور التـتصـيرـي" نـقـمـ الـأدـلة - وـليـس دـليـلاـ واحدـاـ - عـلى تـحرـيف التـورـاة والإـنجـيل .. الـأدـلة المـنـطـقـية .. وـالمـوضـوـعـية .. وـالـقـائـمة عـلى الـاسـتـقـراء لـواـقـع هـذه التـورـاة وـهـذا الإـنجـيل .. بلـ وـالـشـهـادـات الـتي شـهـدـ بها عـلى هـذا التـحرـيف "شـهـودـ منـ أـهـلـهاـ" - أيـ منـ الـيهـودـ وـالـنـصـارـىـ.

وـأـول هـذـه الأـدـلة:

إنـ التـورـاة هيـ الـكتـاب الـذـي أـنـزلـه اللهـ - سـبـحانـهـ وـتـعـالـى - عـلـى مـوسـى - عـلـى السـلام - .. وـمـوسـى قدـ ولـدـ وـنـشـأـ، وـتـعـلمـ، وـبـعـثـ وأـوـحـيـ إـلـيـهـ بـمـصـرـ .. وـنـزـلتـ عـلـيـهـ التـورـاة بـالـلـغـةـ الـهـيـرـوـغـلـيـفـيـةـ - لـغـةـ وـلـغـةـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ فـيـ مـصـرـ - .. وـلـقـدـ مـاتـ مـوسـىـ، وـدـفـنـ بـمـصـرـ، قـبـلـ دـخـولـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ - بـقـيـادـةـ يـوـشعـ بـنـ نـونـ - إـلـىـ أـرـضـ كـنـعـانـ - فـلـسـطـينـ - وـقـبـلـ نـشـأـةـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ بـأـكـثـرـ مـنـ مـائـةـ سـنـةـ - إـذـ الـعـرـبـيـةـ - فـيـ الأـصـلـ - لـهـجـةـ كـنـعـانـيـةـ - ..

فـأـينـ هـيـ التـورـاة الـتـي نـزـلتـ عـلـى مـوسـىـ بـالـهـيـرـوـغـلـيـفـيـةـ؟ .. هلـ لـهـاـ وـجـودـ أوـ أـثـرـ فـيـ التـرـاثـ الـديـنـيـ الـيـهـودـيـ؟ ..
الـجـوابـ - الـذـي يـجـمـعـ عـلـيـهـ الـجـمـيعـ - وـفـيـ مـقـدـمـتـهـ الـيـهـودـ: أـنهـ لـاـ وـجـودـ لـهـذـهـ التـورـاةـ! ..

وـثـاني هـذـه الأـدـلة:

أنـ مـوسـىـ - عـلـهـ السـلامـ - الـذـي نـزـلتـ عـلـيـهـ التـورـاةـ، بـالـهـيـرـوـغـلـيـفـيـةـ - قـدـ عـاشـ وـمـاتـ فـيـ الـقـرنـ الـثـالـثـ عـشـرـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ .. بـيـنـماـ حدـثـ أـوـلـ تـدوـينـ لـأـسـفـارـ الـعـهـدـ الـقـدـيمـ - عـلـىـ بـيـديـ "عـزـراـ" - أـيـ فـيـ مـنـتـصـفـ الـقـرنـ الـخـامـسـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ - بـعـدـ عـرـودـ الـيـهـودـ مـنـ السـبـيـيـ الـبـالـبـيـ (ـ٥٩٧ـ_ـ٥٣٨ـ مـقـقـ).ـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـعـنـيـ أـنـ التـرـاثـ الـيـهـودـيـ قـدـ ظـلـ تـرـاثـ شـفـهـيـاـ لـمـدةـ ثـمـانـيـةـ قـرـونـ - عـبـدـ أـثـنـاءـهـ بـنـوـ إـسـرـائـيلـ الـعـجلـ تـارـةـ .. وـأـثـنـانـ الـكـنـعـانـيـنـ تـارـةـ أـخـرىـ .. وـانـقـلـبـواـ فـيـهـاـ عـلـىـ أـنـبـائـهـمـ فـيـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـحـيـانـ.

فـهـلـ يـتـصـورـ عـاقـلـ أـنـ يـظـلـ تـرـاثـ دـينـيـ، فـيـ الـحـالـةـ الـشـفـهـيـةـ، عـلـىـ امـتدـادـ ثـمـانـيـةـ قـرـونـ، شـهـدتـ كـلـ هـذـهـ الـانـقلـابـاتـ ضـدـ أـصـوـلـهـ الـأـولـىـ - تـورـاةـ مـوسـىـ عـلـيـهـ السـلامـ - دـوـنـ أـنـ يـصـبـيـهـ التـحرـيفـ وـالتـغـيـيرـ وـالتـبـدـيلـ وـالـحـذـفـ وـالـإـضـافـةـ وـالـنـسـيـانـ؟!..

وـثـالـثـ هـذـهـ الأـدـلة:

عـلـىـ حـدـثـ التـحرـيفـ فـيـ أـسـفـارـ الـعـهـدـ الـقـدـيمـ هوـ هـذـهـ التـناـقـضـاتـ الـصـارـخـةـ الـقـائـمـةـ فـيـهـاـ حـتـىـ الـآنـ.. إـذـ لوـ كـانـتـ هـذـهـ الـأـسـفـارـ هـيـ كـلـمـةـ اللهـ الـتـيـ نـزـلتـ عـلـىـ مـوسـىـ - عـلـىـ السـلامـ - لـاـسـتـحـالـ أـنـ يـدـخـلـهـاـ التـناـقـضـ أـوـ الـاخـتـلـافـ.

ولأن حصر التناقضات التي تمتلئ بها أسفار العهد القديم يحتاج إلى "سفر" فإننا سنكتفي – هنا – مراعاة للمقام – بضرب الأمثلة – على سبيل المثال:

١- فاسم الله – في هذه الأسفار – أحياناً يكون "يهوه" .. وأحياناً يكون "إيلوهيم"، الأمر الذي يشهد على اختلاف العصور، وتعدد المواريث الدينية، وتتنوع الثقافات اللاهوتية، وتمايز المصادر التي جمعت وأدخلت – بعد ثمانية قرون – وعبرها في هذه الأسفار.

٢- وفي الحديث عن بدء الخلق – الذي ورد في هذه الأسفار – نجد العديد من الاختلافات والتناقضات:

ففي سفر واحد، هو سفر التكوين نجد:

• أن النور قد خلق في اليوم الأول – تكوين ١: ٥.

• ثم نجد أنه قد خلق في اليوم الرابع – تكوين ١: ١٦-١٩.

.. والشمس:

• يقال – مرة – إنها خلقت في اليوم الأول – تكوين ١: ٥.

• ومرة ثانية يقال إنها خلقت في اليوم الرابع – تكوين ١: ١٤-١٩.

... كذلك الحال في تاريخ خلق الكائنات الحية.

• وفي سفر التكوين ١ : ٢٠-٢٣ – أن الحيوانات والطيور خُلقت أولاً – في اليوم الخامس – وأن آدم خُلق في اليوم السادس.

• ثم يعود نفس السفر – التكوين ٢: ٧-١٩ فيقول: إن الإنسان خُلق، أولاً ثم النباتات، ثم الحيوانات والطيور.
فهل يمكن أن تكون هذه الاختلافات والتناقضات، هي كلمة الله – التوراة – التي أوحى بها إلى موسى – عليه السلام –؟!

٣- وفي الحديث عن عمر الزمان – من آدم إلى طوفان نوح – عليهما السلام – نجده:

• في التوراة العبرية ١٦٥٦ عاماً.

• وفي النسخة اليونانية ٢٢٦٢ عاماً.

• وفي النسخة السامرية ١٣٠٧ أعوام.

فهل يجوز أن ينسب هذا الاختلاف إلى الله.. خالق الزمان.. والعلم بأيامه وثوانيه؟!

٤- وفي الحديث عن تاريخ نزول إبليس إلى الأرض. نجده:

• مرة: قبل خلق آدم ودخوله الجنة – رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢: ٧-١٠.

• ومرة بعد خلق آدم ومعصيته في الجنة – التكوين ٣: ١-١٥.

٥- وفي مدة طوفان نوح – عليه السلام –.. نجدها:

• في سفر التكوين ٧: ١٢-١٤ أربعين يوماً وأربعين ليلة.

• وفي نفس السفر – التكوين ٧: ٢٤ – نجد مدة الطوفان ١٥٠ يوماً.

فبماذا نسمى ذلك إلا أن يكون اختلافاً وتحريفاً وتزييفاً؟!

٦- وفي الحديث عن عدد سنين الجوع التي حكم الله بها على داود – عليه السلام – نجدها:

• سبع سنين – في صموئيل الثاني ٤: ٢٤.

• وثلاث سنين – في أخبار الأيام الأولى ١١: ٢١.

- ٧- وفي الحديث عن عدد المراكب التي قضى عليها داود – عليه السلام – في "أرام" .. نجد:
- ٧٠٠ مركبة.. و ٤٠,٠٠٠ فارس – في صموئيل الثاني ١٨-١٠.
 - و ٧,٠٠٠ مركبة و ٤٠,٠٠٠ رجل – في أخبار الأيام الأول ١٩:١٨.
 - ٨- وفي الحديث عن عدد اليهود الذين أطلقوا من سبي بابل.. نجد:
 - ٦,٣٧٧ – في عزرا (٢).
 - ٧,٢٦٥ – في نحريا (٧).
 - ٩- وفي الحديث عن دخول بنى إسرائيل أورشليم واستيلائهم عليها:
 - يقال إنهم دخلوها واستولوا عليها وقتلوا ملكها – في يشوع ١٠:٢٣-٤٢.
 - بينما يقال إنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها – في نفس السفر – يشوع ١٥:٦٣.
 - ١٠- وفي الحديث عن تحريم زواج الإسرائيليين من غير الإسرائيليات.. نجد:
 - في سفر التثنية ٧:٣: "ولا تصاهرهم، بنتك لا تعط لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك".
 - بينما نجد في سفر الملوك الأول ٣:١٢-١: وصاير سليمان فرعون مصر، وأخذ بنت فرعون.. هذا أعطيناك قلبا حكيمًا ومميزًا حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعده نظير".
 - ثم نجد – في نحريا ١٣:٢٦-٢٧: "تم لوم سليمان لزواجه من الأجنبيات".
 - ١١- وفي الحديث عن تسبيح الأرض وحمدتها لله – سبحانه وتعالى – نجد:
 - الأرض تسبح وتحمد الله – في المزمور ٦٦.
 - بينما نجد الأرض لا تسبح الله ولا تحمده – في المزمور ٣٠:٩.
 - ١٢- كما نجد التوراة السامرية – التي ترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد تختلف عن النص الماسوري^(٤) في أكثر من ٦٠٠٠ موضع!.
 - ١٣- ونسخة التوراة السامرية تتفق مع الترجمة السبعينية (٢٥٠-١٣٠ ق.م) في الثالث فقط!
 - ١٤- وسفر إرميا – في الترجمة السبعينية – ينقص عن النص العربي نحو السبع!.
 - ١٥- وسفر أيوب – في الترجمة السبعينية ينقص عن النص العربي نحو الربع!.
 - ١٦- كما نجد أسفار العهد القديم لا تتحدث عن موسى – عليه السلام – بلسان المخاطب – أي أنها لم تنزل عليه – وإنما تتحدث عنه – كثيراً – بضمير الغائب – أي أنها تراث جمّع دونَ بعده وفاته – .. ومن ذلك – على سبيل المثال – :
 - "وكلم يهوه موسى.. وكلم يهوه موسى وجهاً لوجهه" – الخروج ٣٣:١١.
 - "وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" – العدد ١٢:٣-.
 - "فسخط موسى على وكلاء الجيش" – العدد ٣١:٤-.
 - "موسى رجل الله" التثنية ٣١:١-.
 - "ومات هناك موسى عبد الرب" – التثنية ٣٤:٣٥-.
 - "فقال الرب لموسى" – الخروج ٦:١-.

^٤- الماسورة هي مجموعة القواعد التي وضعها الحاخامتات عبر القرون.. والتي تتصل بطريقة هجاء وقراءة وكتابة العهد القديم – فالنص الماسوري هو النص الحاخامي – انظر: د. عبد الوهاب المسيري (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) ج ٥ ص ٨٩.

- "فتكلم موسى أمام الرب" – الخروج ٦: ١٣.-
- "فقال موسى للرب" – العدد ١١: ١١.-
- "وقال الرب لموسى" – التثنية ٣١: ١٤.-
- "فمات هناك موسى.. ودفنه (الرب).. وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات.. ولم يقم بعدنبي في إسرائيل مثل موسى" – التثنية ٣٤: ٣٥-٥.

وفي الآية ٦ – من نفس السفر ونفس الإصلاح – إشارة إلى وفاة موسى، تقول:

- "ولا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا".
- "فهل هذا "الكلام" نزل على موسى – في التوراة – أم إضافات وتأليفات أدخلت في هذا التراث، بعد وفاة موسى – عليه السلام – بقرون؟!".

١٧ – ثم هناك اختلافات الكنائس النصرانية في عدد أسفار العهد القديم التي تؤمن بها هذه الكنائس:

- فالبروتستانت يؤمّنون بستة وستين سفراً.
- والكاثوليك يؤمّنون بثلاثة وسبعين سفراً.
- * والأرثوذكس يؤمّنون بستة وستين سفراً.

٠ وأخيرا.. شهد البابا شنودة – الثالث – بابا الأرثوذكس المصريين – في عظته الأسبوعية – بأن أسفار العهد القديم الحالية قد حذفت منها الأسفار القانونية، التي تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأنها جزء من العهد القديم^(٥).

تلك أمثلة – مجرد أمثلة – على التناقضات.. والاختلافات، التي تزخر بها أسفار العهد القديم.. والشاهد على تحريف هذه الأسفار.. والقاطعة بأنها لا يمكن أن تكون هي كلمة الله التي أنزلها على موسى – عليه السلام..

ورابع هذه الأدلة:

هي شهادة علماء اليهود أنفسهم.. أولئك الذين تخصصوا في نقد العهد القديم – ومنهم العديد من الحاخامات .. والذين جمع دراساتهم العالم اليهودي "الزمان شازار" في كتاب عنوانه: (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث).. وهو الكتاب الذي امتلأ فصوله وصفحاته بالشهادات اليهودية القاطعة بأن أسفار العهد القديم إنما هي ثمرة لتراث شفهي، تكون عبر قرون طويلة، وعصور مختلفة، وبينات متباينة، وثقافات متباينة، وتصانيم متباينة، ومصادر متعددة، ومؤلفين مختلفين.. ومن ثم فإن أغلب هذه الأسفار لا علاقة لها بموسى – عليه السلام – ولا بالبيئة الصحراوية – سيناء – التي نزلت فيها توراة موسى.

نعم.. يشهد علماء اليهود أنفسهم – شهادات شهود من أهلها – على أن أسفار العهد القديم هذه هي "ركام من الاختلافات.. والتحريفات" .. فيقولون – علي سبيل المثال –

"إن هذه الأسفار المقدسة هي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن.. فلا ارتباط بينها، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف.

إن القسم الأكبر من توراتنا، لم يكتب في الصحراء – (سيناء) –، وموسى لم يكتب التوراة كلها.. وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأساطير مختلفة.. ففيها ثمانية مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهي:

١- لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (في سيناء) تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرام – (أي في أرض كنعان) –.

٥- انظر – في كل ذلك: فؤاد حسنين على (التوراة عرض وتحليل) ص: ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦ ، ٣٧ - ٩٢ – طبعة مكتبة وهبة – القاهرة سنة ١٤٢٦ هـ سنة ٢٠٠٥ م. وصحيفة (وطني) – القاهرة – في ٥ / ١٠ / ٢٠٠٦ م. وعبد السلام محمد عبد الله (هل الكتاب المقدس معصوم؟) طبعة مكتبة النافذة – القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.

٢- ولفائف ن تعاليم الكهنة، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع بن صادق.

٣- ولفائف أعداد الأسباط.

٤- ولفائف باعترافات الأنبياء.

٥- ومجموعات من روايات بيت داود.

٦- وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم في بابل.

٧- وأقوال الكهنة والأنبياء العاندين من النبي.

٨- وتكلمات مختارة من عصر الحشمونيين – (أي القرن الثامن قبل الميلاد) –

إن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط في إرث استيطانهم بزمن طويل، وإن مؤلف السفر لم يكن موجوداً على كل حال قبل عصر إشعيا – (أي حوالي ٧٣٤-٦٨٠ ق.م).

أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد، فإنهما معالجة، لأساطير وأشعار قديمة.

وإن الإصلاحات الشمانية الموجودة في التوراة بين أنشودة موسى – الموجودة في سفر الخروج – وحتى الإصلاح الأخير من سفر العدد – هي في مجموعها، كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها. وفي الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما، كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر منسوب إليه ..^(١).

تلك شهادة "شهود من أهلها" .. شهد بها العلماء اليهود الخبراء في علم نقد النصوص.. وفصولها في سفر كامل.. وهي شهادات لا تدع مجالاً للشك بأن أسفار العهد القديم – الذي يؤمن بها اليهود والنصارى – لا علاقة لها بتوراة موسى – عليه السلام .. وأنها ركام من التحريف.. والتغليف، والتزيف.

وإذا شئنا مثلاً على إعادة "التفكير.. والتركيب" التي أحذثتها دراسات هؤلاء العلماء اليهود بهذه الأسفار.. والتي استندت إلى علم النقد الداخلي للنصوص – فيكتي – مراعاة للمقام – إيراد النتيجة التي خرجت بها هذه الدراسات – بسفر إشعيا وغيره والتي تقول:

"إن سفر إشعيا هو عبارة عن ستة أسفار، كتبت في أزمنة مختلفة (عاش إشعيا الأول في عصر بوئام وأحاز ويحرقيا، وكتبت الإصلاحات ٢٤-٢٧) في عصر بوشياهو، وكتب الإصلاحات ٣٥، ٣٤، ٣٣ مباشرة بعد الخراب، وكتب الإصلاحات ٤٠، ٤١ بعد حرقىال بثلاثين سنة، وبعد ذلك تأتي إصلاحات أنشودة إشعيا الثاني ٤٠-٤٦، وبعد ذلك كتبت فقط العبارات ١٠-١١ من الإصلاح الحادي والعشرين."

ووقد سفر إرميا إلى أجزاء مختلفة ووجد في سفر زكريا أقوال ثلاثة أنبياء، أقوال النبي الأول نشمل الإصلاحات ١-٦) وعاش في عصر هوشع، وتشمل أقوال الثاني الإصلاحات ٧-١٢) وكان في عصر يهوياقيم وصدقياهو، وتشمل الإصلاحات ١٢-١٤) أقوال النبي الثالث باستثناء ٦٧-١٣) الذي تنبأ بعد العودة من بابل.

ويحصي في سفر هوشع نبین، تمثل (الإصلاحات ٣-١) أقوال الأول، وتنبأ في عصر مربعام الثاني، وأقوال الثاني متضمنة في (الإصلاحات ٤-١٤) وكان في عصر تجلات فلاسر وشمناصر، وكان آخر الأنبياء في مملكة إفرابيم، وكان معاصرًا لإشعيا.

ويحدد زمن النبي عوبيدا بعد الخراب في زمن واحد مع مؤلف الإصلاحين (٣٤-٣٥) من سفر إشعيا.

وتتنسب أسفار الكتابات إلى زمن الهيكل الثاني.

وغالبية المزامير قيلت بعد العودة من بابل، وبعضها في عصر الحشمونيين.

٦- زالمان شازار – محرر – (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث) ص ١٩٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠ – ترجمة: د. أحمد محمد هويدى. تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن – طبعة المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

وألف سفر دانيال زمن سلطان المقدنيين – سويا مع أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحريا، التي كانت في البداية سفرا واحدا.

وتتنسب الإصلاحات الأولى والأخيرة من سفر الأمثال إلى ما بعد العودة (من النبي).

وتتنسب لنفس الفترة المقدمة والخاتمة من سفر أيوب.

ويتنسب سفر الجامعة إلى عصر هيرودوس (484-425 ق.).

وروث إلى عصر الغزو اليوناني.

ونشيد الإنجاد إلى عصر المقدنيين، أي خمسين سنة قبل حرب الحشمونيين^(٧).

فهل بعد هذا "التفكير.. والتركيب" لهذه النصوص مجال لقول عاقل إن لها علاقة بتوراة موسى.. وكلمات الله؟!.

وخامس هذه الأدلة:

أن القداسة التي أضيفت على أسفار هذا الكتاب "المقدس" هي طارئة.. حدثت بعد عصر موسى – عليه السلام – بأكثر من عشرة قرون.. وبعد تدوين "عزرا" لما دون من هذه الأسفار بأربعة قرون.. فلم يكن هناك من يقدس هذه الأسفار قبل عصر المكابيين (168-137 ق.) وبعبارة الفيلسوف اليهود "سبينوزا" (1632-1677 م) – وهو من الخبراء في نقد نصوص العهد القديم –

"فإنه حتى عصر المكابيين لم تكن الأسفار المقدسة قد أقرت، وإن حكماء التلمود (الفرسيين) قد اختاروا هذه الأسفار من بين بقية الأسفار، وذلك زمان الهيكل الثاني، ثم رتبوها، ورفعوها لمرتبة الكتابات المقدسة"^(٨).

أي أن الصورة التي بين أيدينا لأسفار العهد القديم، وتاريخ تقاديسها إنما هو القرن الأول قبل الميلاد – أي بعد موسى – عليه السلام – وتوراته باكثر من عشرة قرون!.

تلك شهادات الواقع – واقع هذه الأسفار ومضمونها.. وتناقضاتها.. شهادات علماء اليهود أنفسهم على أنها – في معظمها – تحريف.. وتلقيق.. وتناقضات.. لا علاقة لها بكلمات الله التي أنزلها على موسى عليه السلام.

ومن هنا، فإن جميع ما جاء في القرآن الكريم عن التوراة التي أنزل الله على موسى والتي فيها هدى ونور

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾

(المائدة: ٤)

والتي دعا القرآن اليهود إلى إقامة حكمها:

﴿ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾

(المائدة: ٤٣)

فإن المراد بها توراة موسى – عليه السلام –.. وليس هذه الأسفار التي دونت بعد موسى بثمانية قرون، والتي اتخذت شكلها الحالي، وأضفت عليها القداسة بعد موسى بأكثر من عشرة قرون.

٧- المصدر السابق. ص: ١٩٨، ١٩٧ – من دراسة العالم اليهودي "جرينس".

٨- المصدر السابق ص ١٠٠ – ولقد كتب "سبينوزا" ذلك في (رسالة في اللاهوت والسياسة) الفصل الحادي عشر.

أما هذه الأسفار – التي يؤمن بها اليهود والنصارى – والتي شهد واقعها.. وشهدت تناقضات.. وشهد عليها العلماء الخبراء في نقد نصوصها – من علماء اليهود – فهي التي قال عنها القرآن الكريم:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ أَخْرَينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخَدُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوهُ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة: ٤١)

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسَمَّعٍ وَرَأَيْنَا لَيْاً بِالْسَّيْنَتِهِمْ وَطَعَنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(النساء: ٤٦)

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

(البقرة: ٧٩)

﴿ فَبِمَا نَقْضَهُمْ مِيَثَاقُهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ ﴾

(المائدة: ١٣)

بهذا يتضح فساد منهج هذا الكتاب – الذين أبدينا – الذي ادعى عدم تحريف التوراة.. وحاول الاستناد في هذه الدعوى إلى القرآن الكريم – الذي جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية – والذي تحدث عن التوراة باعتبارها ذكراً أنزله الله.. ووصفها بأن فيها هدى ونور.

فتوراة موسى – عليه السلام – التي نزلت بالهieroغليفية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد^(٩) – هي ذكر من عند الله.. وفيها هدى ونور.

أما الأسفار التي جمعها وكتبها "عزرا" في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد.. والتي اتخذت شكلها الحالي، وأضيفت عليها القدسية في زمن المكابيين (١٦٨-٣٧ ق.م) – أي بعد موسلا وتراثه بأكثر من عشرة قرون – فهي تلك التي قطع القرآن الكريم بانها ليست كلام الله، ولا وحيه إلى موسى – عليه السلام .. وإنما هي التي كتبها اليهود بأيديهم، ثم قالوا إنها من عند الله ليشتروا بها الكذب على الله ثمنا قليلاً!

ومع القرآن الكريم شهد العلماء الخبراء في نقد النصوص – من اليهود – وفيهم حاخامات كبار – بأن هذه الأسفار إنما هي تجميع وتلخيص لتراث شفهي أمرته بينات وثقافات مختلفة عبر العديد والعديد من القرون..
هذا عن التوراة.. والتحريف

٩ – انظر للدكتور فؤاد حسنين على كتاب (التوراة الهieroغليفية) طبعة دار الكاتب العربي – القاهرة.

الأدلة على تحريف الإنجيل

أما إنكار هذا "المنشور التنصيري" - في الفصل الأول حدوث تحريف للإنجيل.. فإننا سنتبع ذات المنهج "المنطقى" .. الموضوعى.. الاستقرائي "إقامة الأدلة" - وليس الدليل الواحد - على حدوث التحريف - بل والتحريفات - للإنجيل.. وسنقدم على ذلك نماذج من الأدلة - مجرد نماذج- مراعاة للمقام.

الدليل الأول:

لقد جاء المسيح - عليه السلام - بإنجيل - أي بشاره بشر بها باللغة الآرامية - فأين هو هذا الإنجيل؟.. إنجليل المسيح؟..

إن العالم كله بجميع كنائسه.. وبكل مذاهب النصرانية فيه.. لا يملك نسخة واحدة من هذا الإنجيل.. إنجيل المسيح - عليه السلام -.

وما لدى كل الكنائس المسيحية هي أناجيل لا يُنسب واحد منها إلى المسيح.. وإنما هي "سيير" و"قصص" كتبها كتاب متعددون ومختلفون، ودونوا فيها ما سمعه كل واحد منهم عن ظهور المسيح، وما تحدث به، وما حدث له.

من هنا فإن الإنجيل الذي جاء به المسيح.. والذي تحدث عنه القرآن الكريم باعتباره ذكرًا أنزله الله.. وفيه هدى ونور

﴿وَكَيْنَاهُ إِنِّيْجِيلٌ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾

(المائدة: ٤٦)

والذي يطلب من النصارى أن يقيموا أحکامه:

﴿وَلِيَحْكُمْ أَهْلُ إِنِّيْجِيلٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾

(المائدة: ٤٧)

هذا الإنجيل لا وجود له لدى أي كنيسة من كنائس النصرانية.. ولا لدى أي نصراني في هذا العالم.

والدليل الثاني:

إن الأنجليل الأربع المشهورة، والمعتمدة لدى الكنائس النصرانية الكبرى المعاصرة، اثنان منها كتبهما اثنان من الجيل التالي لحبل المسيح - أي من تابعي صحبة المسيح.. فمرقس تلميذ لبطرس - الحواري -.. ولوقا تلميذ لبولس.. فليس شاهدين على ما كتبوا!

والإنجيل الثالث - إنجليل يوحنا - الذي تفرد بتأليه المسيح - ترجم الدراسات المستندة إلى النقد الداخلي لنصوصه - أنه قد كتب بواسطة يوحنا آخر - غير يوحنا الحواري - في نهاية القرن الأول الميلادي^(١٠).

فنحن أمام ثلاثة أناجيل - من أربعة - لا علاقة لها بعصر المسيح!.

والدليل الثالث:

أن هذه الأنجليل قد انتقلت نصوصها وتغيرت ألفاظها مرات عديدة بالترجمات إلى العديد من اللغات، الأمر الذي باعده بين ألفاظها - في هذه الترجمات - وبين أصولها بعداً شديداً.. وإذا كانت الترجمة - مهما بلغت دقتها - إنما تمثل نوعاً من "الخيال" للنص الأصلي - وخاصة عندما يكون النص ذا طابع شعري أو وعظي أو صوفي، تكثر فيه المجازات والكتابات والاستعارات والتشبيهات - كما هو حال هذه الأنجليل - فمن ذا الذي يجرؤ على الحديث عن انقاء التحريفات والتغييرات التي أصابت هذه الأنجليل؟!.

١٠ - (دائرة المعارف البريطانية) المجلد الثاني ص ٩٥٥

إن إنجيل متى – على سبيل المثال – وهو الذي يتصدر أناجيل العهد الجديد – قد كتب أولاً بالأرمية لا بالعبرية.. ولقد ترجم إلى اليونانية.. وضاع النص الأول وبقي الثاني! ^(١).

وإذا كانت الأناجيل قد مررت بمئات التغييرات – في الألفاظ ومن ثم في المعاني – عندما ترجمت مئات الترجمات إلى مئات اللغات الأمر الذي يفتح الباب لدراسات مقارنة لهذه الاختلافات في ألفاظها ومعاناتها. فالتنا – مراعاة للمقام – سنظر على ذلك بعض الأمثلة:

(أ) لقد ترجم إنجيل مرقس ترجمة مصرية جديدة – ترجمة عربية – ومن يقارن هذه الترجمة بنظيرتها العربية الموجودة ضمن مجموعة "الكتاب المقدس" سيجد العديد من الاختلافات في كل صفحة من الصفحات!.. فأول سطر – آية – في الطبعة العربية التقليدية: "بدء إنجيل المسيح ابن الله.." نجدها في الترجمة العربية الجديدة: "هذه بداية بشاره يسوع المسيح ابن الله.." ف "بدء" أصبحت "هذه بداية" .. و "إنجيل" صارت "بشراء"!! .. وفي الآية الثانية نجد أن: "كما هو مكتوب في الأنبياء" – في الطبعة العربية التقليدية – قد صارت: "وفقاً لما هو مكتوب في سفر إشعياء النبي"! – في الترجمة العربية الجديدة.

وهكذا امتلأت كل صفحة من صفحات هاتين الطبعتين بالعديد من الاختلافات – في الإنجيل الواحد، وفي اللغة الواحدة – مما باتنا بما أصاب هذا الإنجيل وغيره من الاختلافات والتحريفات عبر مئات الترجمات إلى مئات اللغات؟! ^(٢).

(ب) لقد شهد عقد التسعينيات من القرن العشرين ترجمات جديدة لنصوص العهدين القديم والجديد إلى العديد من اللغات الحية، وفقت وراءهاحركات الأنوثية الغربية المتطرفة.. وتم في هذه الترجمات الجديدة "تحبيب" الأسماء الكثيرة المذكورة في هذه النصوص، كي لا تكون الثقافة الدينية فيها "ثقافة ذكرية" – كما تقول هذه الحركات الأنوثية المتطرفة.. أي أن التغييرات والتحريفات قد طالت حتى أسماء الله والأنبياء والقديسين!.

وهذه الترجمات الجديدة يتم الترويج لها والإشارة لتفاقتها بواسطة قوى العولمة وما بعد الحداثة، عبر قارات العالم المعاصر!.

إذن، فنحن أمام نصوص دينية لا تمتلك شيئاً من شروط "النص"، التي تعارف عليها علماء النصوص!.

والدليل الرابع:

إننا إذا نظرنا في افتتاحية إنجيل لوقا – الإصلاح الأول: ١-٤ فقرأ قول لوقا – تلميذ بولس: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا.. كما سلمنا إليها الذين كانوا منذ البدء معابين وخداماً لكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تبتعدت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاؤفليس. لتعرف صحة الكلام الذي علمت به".

فنحن أمام نص يقول لنا: إن كثيرين – وليسوا أربعة فقط – قد ألفوا أناجيل كثيرة، هي قصص عن ما سلمه الذين علينا.. ولوقا هذا قد كتب قصته – إنجيله – ليصحح الكلام، الذي كتبه الكثيرون من كتاب الأناجيل الكثيرة!.. ادعى أنه هو الذي تتبع كل شيء من الأول بتدقيق – رغم أنه من " التابعين" وليس من صحابة المسيح – عليه السلام –!.

وإذا كان كلام الله إنما يستحق هذا الوصف – كلام الله – عندما يكون وحيًّا مباشراً لم يدخل فيه التأليف البشري والإبداع الإنساني.. فإن هذه الأناجيل، التي كتبها بشر، والتي حفلت بالعديد من الاختلافات والتناقضات – كما سنأتي الإشارات إلى ذلك – لا يمكن أن تكون وحيًّا إلهيًّا، ولا أن تكون نص كلام الله.. وإلا لجاز لنا – في الإسلام – أن نطلق وصف "الوحى" و "كلام الله" على آلاف الكتب التي ألفت في سيرة رسولنا – عليه الصلاة والسلام –!.

١١- د. ميشال الحياك (المسيح في الإسلام) ص ١٢٤ – هامش (٤٦) طبعة بيروت سنة ٢٠٠٤ م.

١٢- قارن إنجيل مرقس – طبعة دار الكتاب المقدس، ضمن مجموعة العهد القديم والجديد – بالطبعية العربية التي ترجمتها لجنة مكونة من: زكي شنوده، د. مراد كامل، د. باهور لبيب، حلمي مراد – برئاسة الأنبا غريغوريوس – طبعة دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٥ م.

الدليل الخامس:

هو شهادة شاهد من أهلها على حدوث الاختلافات والتحريفات والتناقضات – وحتى الشكوك في حقيقة كتاب هذه الأنجليل ...

ففقد جاء في (دائرة المعارف البريطانية) – وهي أوثق وأشهر دوائر المعرف في العالم المسيحي – جاء عن هذه الأنجليل الأربعة:

(أ) إنجيل متى: "إن كون متى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد^(١٣).. ومن المسلم به أن متى قد اعتمد في كتابة إنجيله على إنجيل مرقس، أول الأنجليل تاليفاً حيث حوى ٦٠٠ عدد من أعداد إنجيل مرقس البالغة ٦٢١ عدداً، أي ٩٠٪ من محتويات إنجيل مرقس.

والسؤال الذي يتadar إلى الذهن: كيف يعتمد متى، وهو حواري المسيح الذي لازمه منذ البداية – منذ بداية دعوته – على إنجيل كتبه مرقس، وهو تلميذ الحواري بطرس، أي من الجيل الثاني من أتباع المسيح؟!

(ب) إنجيل مرقس: تقول عنه الموسوعة البريطانية: "في أفضل المخطوطات، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعتبر عموماً إضافات متأخرة.. والأعداد الأخيرة – ١٦:٩ – غير موجودة في بعض المخطوطات، ويوجد عوضاً عنها مقاطع أقصر في مخطوطات أخرى. وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء"^(١٤).

(ج) إنجيل لوقا: تقول عنه الموسوعة البريطانية: "إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولاً"^(١٥).

(د) إنجيل يوحنا: وهو الإنجيل الوحيد الذي نص بكل صراحة على الوهبية عيسى، حيث نقل عن عيسى أنه قال: "أنا والآب واحد" – يوحنا ١٠:٣٠، "الذي رأني فقدررأي الآب" – يوحنا ٩:١٤، "أنا في الآب والآب في" – يوحنا ٤:١٠.

ويعارض هذا الإنجيل مع الأنجليل الأخرى في أمور مهمة جداً وحاسمة، فهو يذكر أن المسيح صلب يوم ١٤ نيسان – (إبريل) – بينما يفهم من بقية الأنجليل أن الصلب كان يوم ١٥ نيسان، ولا يذكر يوحنا في إنجيله تفاصيل رواية القربان المقدس – أو العشاء الأخير – التي أصبحت فيما بعد شعيرة من شعائر المسيحية، ولا يذكر أن المسيح تعمّد بواسطة يوحنا المعمدان. وفي حين يفهم من إنجيل يوحنا أن رسالة المسيح استغرقت ثلاثة أعوام، فإنه يفهم من الأنجليل الأخرى أنها استغرقت عاماً واحداً.

ويوحنا هو الوحيد الذي ذكر أن عيسى أخبر تلاميذه، قبل صلبه أنه سيرسل "الفارقليط" وهذه الاختلافات المهمة – وغيرها كثيرة – جعلت الموسوعة البريطانية تورد قول الأسقف "بابياس" – المتوفى سنة ١٣٠م – أي المعاصر لكتاب الأنجليل – عن وجود أكثر من يوحنا – يوحنا بن زيدي، الحواري.. ويوحنا آخر، هو الكاهن في أفسس. وفي داخل الإنجيل يفهم أنه كتب بواسطة حواري محظوظ مجهول الاسم.

وبما أن الشواهد الداخلية والخارجية مشكوك فيها، فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هي: أن إنجيل يوحنا ورسائله حررت في مكان ما في الشرق، ربما في أفسس، إنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيوحنا في نهاية القرن الأول الميلادي^(١٦).

والدليل السادس:

هو أن تاريخ كتابة هذه الأنجليل متاخر عن عصر المسيح – عليه السلام – وتاريخ وفاته.

فأقدم هذه الأنجليل – كما تذكر ذلك الموسوعة البريطانية – هو إنجيل مرقس – الذي كتب ما بين سنة ٦٥ م وسنة ٧٠ م – أي بعد ثلاثين عاماً من رفع المسيح – عليه السلام –.

وإنجيل متى كتب ما بين سنة ٧٠ م وسنة ٨٠ م.

وإنجيل لوقا كتب سنة ٨٠ م.

١٣- المجلد ٦ ص ٦٩٧.

١٤- المصدر السابق. المجلد الثاني ص ٩٥١، ٩٥٣.

١٥- المصدر السابق. المجلد الثاني. ص ٩٥٤.

١٦- المصدر السابق. المجلد الثاني. ص ٩٥٥.

أما إنجيل يوحنا فكتب في نهاية القرن الميلادي الأول – أي سنة ١٠٠ م..^(١٧)

هذا إذا سلمنا بأن كتابها هم الذين أُسْبِتُ إليهم كتابتها!.. مع الأخذ في الاعتبار أن مرقس ولوقا لم يشهدوا أحداث القصة التي كتبها.. وإنما كتبوا ما سمعاه شفهيًا من قصص تلك الأحداث، نقلًا عن الجيل السابق عليهم!.

وكما يقول الأسقف "بابياس" – المتوفى سنة ١٣٠ م – أي المعاصر لكتبة هذه الأنجليل –: "إِنَّ مَرْقُوسَ الَّذِي كَانَ تَرْجِمَانًا لِبَطْرُسَ، قَدْ كَتَبَ الْقَدْرَ الْكَافِيَ مِنَ الدَّقَّةِ الَّتِي سَمِحَتْ بِهَا ذَاكِرَتِهِ مَا قَدِيلَ عَنْ أَعْمَالِ يَسُوعَ وَأَقْوَالِهِ، وَلَكِنْ دُونَ مَرَاعَاةِ الْنَّظَامِ، لَأَنَّ مَرْقُوسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ سَمِعَ يَسُوعَ، وَلَا كَانَ تَابِعًا شَخْصِيًّا لَهُ، لَكِنَّهُ فِي مَرْحلَةٍ مَتَّاخِرَةٍ.. قَدْ تَبَعَ بَطْرُسَ"^(١٨).

وفي هذا النص الخطير للأسقف "بابياس" تصريح بأن مرقس قد كتب "ما سمحت به ذاكرته"، و "دون مراعاة للنظام".. الأمر الذي ينفي نفيًا قاطعًا عن هذه النصوص النصرانية صفة الوحي الإلهي.. فهي "ذكريات بشرية" أو مجرد "مذكرات"!^(١٩)..

الدليل السابع:

ثم كيف ينقى التحريف الفظي عن هذه النصوص، وهناك مغایرة بين اللغة التي كان يعظ بها المسيح – عليه السلام – أي لغة الإنجيل الذي جاء به.. وهي اللغة الإغريقية – وبين اللغة الأرامية – وبين النسخ الأصلية لهذه الأنجليل؟!.. الأمر الذي جعل الأب "كانينجسر" R.P.Kanenengesser – الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس – يقول: "لا يجب الأخذ بحرافية الأنجليل، إنهم حفظوا منها نصبياً، وإنهم حرّفوا النصب الذي أتواه، وأنه أعطى عيسى الإنجيل، وقال في أتباعه مثل ما قال في اليهود: فهي كتابات ظرفية خاصّة، حرر مؤلفها تراث جماعتهم المسيحية".

كما كتب مؤلفو كتاب (الترجمة المسكونية للعهد الجديد) – وهم أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت – فقالوا: "لقد جمع المبشرون وحررها، كل حسب وجهة نظره الخاصة، ما أطّاعهم إياه التراث الشفهي"^(٢٠).

والدليل الثامن:

إن الأصول الأولى لكل الأنجليل – المشهورة والمعتمدة عند الكنائس المسيحية – قد فقدت.. وأقدم المخطوطات لهذا الأنجليل الحالية يفصل بينها وبين المسيح وعصر من نسبت إليهم هذه الأنجليل ما يقرب من ثلاثة عشر عام!..

وبشهادة الموسوعة البريطانية: "إِنَّ جَمِيعَ النَّسْخِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّتِي كَتَبَتْ بِأَيْدِيِّ مُؤْلِفِيهِ الْأَصْلِيِّنَ قَدْ اخْتَفَتْ، وَأَنَّ هُنَّاكَ فَاصِلًا زَرْمِنِيًّا لَا يَقُلُّ عَنْ مَائِتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَمَائَةِ سَنَةٍ بَيْنَ أَحَدَاثِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَتَارِيخِ كِتَابَةِ مَخْطُوطَاتِهِ الْمُوْجَودَةِ حَالِيًّا"^(٢١).

وبعبارة دكتور موريس بوكاي: "فَإِنَّا لَا نَمْلِكُ أَيْ شَهَادَةً لِشَاهِدٍ عَيْانَ لِحَيَاةِ الْمَسِيحِ، وَهَذَا خَلْفًا لِمَا يَتَصَوَّرُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسِيَّحِيِّنِ"^(٢٢).

والدليل التاسع:

وغير فقد المخطوطات الأصلية لأنجليل واختفائها.. وجود فجوة زمنية تبلغ مئات السنين بين الأصول الأولى لأنجليل وبين المخطوطات التي أخذت عنها هذه الأنجليل الحالية.. فوق كل هذا فإن هناك أكثر من مائة وخمسين ألفاً (١٥٠,٠٠٠) من مواضع الاختلاف بين المخطوطات التي طبعت منها الأنجليل المتداولة الآن!!.. وهذه الاختلافات ليست بين مخطوطات الأنجليل المختلفة فقط، بل وفي مخطوطات الإنجيل الواحد!

١٧- المصدر السابق. المجلد الثاني. ص ٩٥٣ – ٩٥٥. وانظر كذلك: محمد السعدي (حول موثوقية الأنجليل والتوراة) ص ١٥ – ٢٤ طبعة طرابلس – ليبيا – سنة ١٩٨٦ م.

١٨- د. أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية) ص ٥١ – طبعة مكتبة وهبة – القاهرة سنة ١٩٧٨ م.

١٩- د. موريس بوكاي (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعرفة الحديثة) ص ٧٨ طبعة دار المعرفة – القاهرة سنة ١٩٧٧ م – والنقل عن (حول موثوقية الأنجليل والتوراة) ص ٢٩.

٢٠- (الموسوعة البريطانية) المجلد الثاني. ص ٩٤١.

٢١- (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعرفة الحديثة) ص ١١.

وبنصل عبارة الموسوعة البريطانية: "فإن جميع نسخ الكتاب المقدس، قبل عصر الطباعة تظهر اختلافات في النصوص.. وإن مقتبسات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد، والتي تغطيه تقريراً، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفاً من الاختلافات بين النصوص" (٢٢).

و هذه الحقيقة التي أشارت إليها الموسوعة البريطانية - حقيقة الاختلافات بين نصوص الأنجليل التي اقتبسها الآباء - آباء الكنيسة - وبين صورة هذه النصوص في الأنجليل الحالية.. عليها شواهد ونماذج كثيرة.

ففقد كان انتقال التبشير بالmessiahية من الإطار الإسرائيلي - الذي يُبعث إليه المسيح - إلى إطار الأمم، سبباً في تغيير وتعديل نصوص الأنجليل لتلائم التبشير بين الأمم، وذلك بحذف الكلمات التي تشير إلى اختصاص النصوص ببني إسرائيل، أو تشير إلى تراثهم.

وفي كتاب (الدسوقيية: تعاليم الرسل) - الذي وضعه الآباء الأول - أدلة على اختلاف النصوص - التي اقتبسها الآباء في هذا الكتاب - عنها في الأنجليل الحالية:

ففي النص الذي اقتبسه (الدسوقيية) من إنجيل متى يقول المسيح - عليه السلام - "مكتوب في الناموس: لا تزن" .. "وأنا أقول لكم: إنني أنا الذي نطق بالناموس من فم موسى".

فهو هنا يخاطب اليهود - قوم موسى - الذين يعرفون الناموس - الشريعة التي جاء بها موسى - ولذلك يستخدم المصطلحات المعروفة لهم، والتي تشير إلى المواريث الدينية التي يعرفونها.

فاما انتقل التبشير بالإنجيل إلى الأمم - خارج الفضاء اليهودي - أدخلت على ذات الإنجيل - إنجيل متى - التغييرات والتعديلات والتحريفات التي تجعله مناسباً للأمم، وغير خاص باليهود وتراثهم.

فبدلاً من "مكتوب في الناموس لا تزن" أصبح النص - في الإنجيل الحالي -: "قد سمعتم أنه قيل للقديسين: لا تزن".

فحذف مصطلح "الناموس" .. وحذفت الإشارة إلى "موسى" والناموس الذي نطق به فمه، حتى يصبح "الكلام" مقبلاً من الأمم وغير خاص باليهود وتراثهم الديني.

• وفي نص آخر: اقتبس (الدسوقيية) من إنجيل متى - في زمن مبكر - قول المسيح - وهو يخاطب اليهود:-
"إن كل من نظر إلى امرأة صاحبه ليشهيدها يزني بها في قلبه".

فاما انتقل التبشير بالإنجيل إلى الأمم - خارج الإطار اليهودي - تغيير النص إلى: "إن كل من نظر إلى امرأة ليشهيدها فقد زنى بها في قلبه" - متى ٥: ٢٧ ، ٢٨ .

فحذفت كلمة "صاحبها" التي كانت تخصص التحرير باشتئاء اليهودية فقط، دون غيرها.. وذلك ليكون النص - المعدل والمحرف - خالياً من العنصرية اليهودية التي تحصر التحرير في اشتئاء اليهودية وحدها. ولتكن النص - المعدل - خطاباً صالحًا لعموم الأمم، لا لليهود وحدهم!..

• وفي نص ثالث (الدسوقيية) - في مرحلة مبكرة - عن إنجيل متى :-
"فلا جل هذا قال رب:

تشبهوا بطيور السماء، فإنها لا تزرع، ولا تحصد، ولا تخزن في الأماء، وأبوكم السماوي يقوتها، ألسنم أنتم أفضل منها؟ فلا تهتموا فانلين: ماذا نأكل وماذا نشرب لأن أبوكم عارف بحاجتكم إلى هذا كله".

إذا رجعنا إلى هذا النص في النسخة الحالية من إنجيل متى نجد هكذا:

"انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع، ولا تحصد، ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السموي يقوتها، ألسنم أنتم بالحرى أفضل منها؟.

"ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يريد على قامته ذراعاً واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟.

تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب، ولا تغزل، ولكن أقول لكم: إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها، فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم، ويطير غدا في التطور يلبسه الله هكذا، أفاليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟^{٢٣}

"فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، أو ماذا نلبس، فإن هذه كله تطلبها "الأمم" لأن أباكم السموي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها" - متى ٦: ٢٥-٣٢

وبالمقارنة بين النص كما اقتبسه (الدسقولة) - في مرحلة مبكرة - وبين النص كما هو عليه في الصورة الحالية لأنجيل متى، نجد:

- ١- إنه قد تم توسيع النص القديم في النسخة الحالية بإضافة ما يوازي ضعف حجمه الأصلي.
- ٢- وأن الجزء المضاف يتعلق بعنصر لم ترد الإشارة إليه في النص القديم، وهو عنصر "اللباس".
- ٣- وأن الصورة الحالية للنص قد حفلت بالصور والمؤثرات الوجданية، والتمثل بزنابق الحقل - وهي الصور التي خلا منها النص القديم.
- ٤- كما أشار النص الحالي - المعدل - إلى "الأمم" في سياق ينم عن اهتمام الآب السموي بكل الأمم، وأنه لا يقتصر على شعب بعينه، مما ينافي العنصرية اليهودية، ولم يكن ذلك في النص القديم.
وهكذا يتبيّن أن الإنجيل قد كتب أكثر من مرة، وتعدلت صياغته لاعتبارات عديدة تاريخية ومعنوية، وأضفت عليه كاتباه صوراً ومعاني ومؤثرات لم تكن به من قبل، نتيجة خبراتهم، وقراءاتهم، واستماعاتهم، وطبيعة جمهورهم الذي يبشرون به هذا الإنجيل، ثم وضعوا كل هذا الذي ابتدعواه على لسان المسيح - عليه السلام -!^{٢٤}
- وهكذا صاحب التحريف التطورات التي طرأت على مسيرة التبشير بالنصرانية.. حتى لقد أصاب العالم والفيلسوف المعتزلي القاضي عبد الجبار بن أحمد (١٤٥-١٠٢٤هـ) عندما قال عن النصرانية التي زرعها بولس في الدولة الرومانية.. والتي طوعها للوثنية الرومانية.. قال - في عقرية:
"إن النصرانية عندما دخلت روما لم تنتصر روما، ولكن النصرانية هي التي ترُوَّمت"!.

والدليل العاشر:

وغير الاختلافات والتناقضات في الأنجليل.. هناك كثرة.. بينما المفترض أن المسيح قد بشر بإنجيل واحد.
فهناك غير الأنجليل الأربع.. التي تقرر اعتمادها من قبل "الدولة الرومانية" وليس من قبل الله، الذي أوحى بالإنجيل إلى عيسى.. هناك أنجليل كثيرة جداً منها - على سبيل المثال:

- ١- إنجيل متى - غير الإنجيل الشهير بهذا الأسم.
- ٢- وإنجيل مرقس.
- ٣- وإنجيل نيقوديموس.
- ٤- وإنجيل يعقوب.
- ٥- وإنجيل لوقا - في نصه اللاتيني.
- ٦- وإنجيل لوقا - في نصه السرياني.
- ٧- وإنجيل الطفولة - في نصهالأرمني.
- ٨- وإنجيل الطفولة - في نصه السرياني.
- ٩- وإنجيل طفولة سيدنا - في نصهالأرمني.
- ١٠- وإنجيل طفولة سيدنا - في نصه العربي.

٢٣- حسني يوسف الأطير "عقد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية" ص ١٣٧، ١٣٨ - طبعة مكتبة النافذة - القاهرة سنة ٤٢٠٠م (وهو ينقل عن "الدسقولة تعاليم الرسل" نشرة: حافظ داود، ثم القمح مرسى داود.. ثم د. وليم سليمان قلادة).

- ١١- وإنجيل توماس - الذي ذهب يبشر في أرض بابل.
- ١٢- وإنجيل فيلبيس - الذي ذهب يبشر في القि�روان وقرطاجنة.
- ١٣- والنص العربي القديم لقصة يوسف النجار (٢٤).

فإذا أضفنا إلى هذه الأنجيل:

- ٤- إنجيل برنابا.
- ٥- وإنجيل يهودا.
- ٦- وإنجيل العبريين.
- ٧- وإنجيل الناصريين.
- ٨- وإنجيل الحقيقة.

وكل ذلك الأنجيل التي اكتشفت ضمن "مخطوطات نجع حمادي" - في صعيد مصر - سنة ١٩٤٧ م، وفيها ٥٣ نصاً.. وتقع في ١١٥٣ صفحة.. والتي جمعت في ١٣ مجلداً - وهي التي يرجع تاريخ كتابتها إلى ما قبل كتابة الأنجيل الأربعة المشهورة بعشرين عاماً - ومنها:

- ٩- إنجيل مريم المجدلية.
- ١٠- وإنجيل فليب.
- ١١- وإنجيل بطرس.
- ١٢- وإنجيل المصريين.

إذا علمنا هذا العدد غير المحصور للأنجيل.. والذي وصل في الموسوعة الأمريكية إلى ستة وعشرين إنجيلاً.. ووصل في بعض الدراسات إلى مائة إنجيل!.. ظلت شائعة معتمدة لدى طوائف نصرانية كبيرة وكثيرة حتى القرن الرابع الميلادي - عندما قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م إلغاء الأنجيل التي لا تقول بألوهية المسيح! (٢٥).

إذا علمنا ذلك، رأينا حقيقة غيبة الموثوقية عن هذه الأنجيل - التي هي قصص.. وتدوين لثقافة شفهية.. والتي اعتمد الرومان أربعة منها، فرضوها بقوة الدولة على المخالفين!.

والدليل الحادي عشر:

هو الكم الهائل من التناقضات والاختلافات التي شاعت وانتشرت حتى في الأنجيل الأربعة الشهيرة المعتمدة.. تلك التي قررت الموسوعة البريطانية أن في مخطوطاتها أكثر من ١٥٠،٠٠٠ تناقض.

وإذا نحن شئنا ضرب الأمثل - بعض الأمثل - على هذه التناقضات التي تمتليء بها هذه الأنجيل الأربعة، حول سيرة المسيح ووقائعها - فإننا واجدون - على سبيل المثال، لا الحصر:

١- في إنجيل متى ١: ٢١-٢١ أن الملائكة جاء بشارة حمل المسيح وولادته إلى يوسف النجار.

أما في لوقا ١: ٣١-٣٦ فإن البشارة جاءت إلى مريم العذراء.

٢- وفي متى ٢: ٢٠ أن هيرودس مات ويسوع صبي لم يره.

أما في لوقا ٢: ٨ فإن هيرودس رأى يسوع وفرح جداً.

٣- وفي متى ٢: ٣ أن أحداً في أورشليم لم يعلم بولادة المسيح إلا بعد مجيء الم Gors.

أما في لوقا ٢: ٣٨-٣٨ فإن الكثيرين من أهل أورشليم قد علموا بولادته من بنية حنة بنت فنوئيل.

٢٤- كتاب "المسيح في الإسلام" للدكتور ميشال الحايak.

٢٥- "المسيح في مصادر العقائد المسيحية" ص ٣٧، ٣٨ والنقل عن "حول موثوقية الأنجيل والتوراة" ص ٣٣.

- ٤- وفي متى ٢: ٣-١ أن هيرودس تربص بيسوع.
أما في لوقا ٢: ٣٨-٢٥ فإنه لم يترقص بيسوع.
- ٥- وفي متى ١: ٧-١ أن المسيح من أولاد سليمان بن داود.
أما في لوقا ٣: ٣٨-٢٣ فإنه من نسل ناثان بن داود.
- ٦- وفي متى نجد في أسلاف المسيح – من داود إلى المسيح ٢٨ سلفاً.
بينما نجدهم عند لوقا ٤: ٤ سلفاً.
- ٧- وفي متى ٢٦: ١-٢ نجد مدة دعوة المسيح ورسالته سنة واحدة.
وكذلك في مرقس ١: ١٤ .
وكذلك في لوقا ٢٢: ١ .
- لكتنا نجد هذه المدة في يوحنا ٢: ١٣-١٤ عاماً.
- ٨- وفي لوقا ٩: ٥٣-٥٦ نجد المسيح قد جاء يدعو للسلام.
وفي نفس الإنجيل – بموضع آخر ١٢: ٤٩-٥١ نجده قد جاء يدعو للانقسام وال الحرب "جئت لألقي ناراً على الأرض.. أتظنوا أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض، كلاً أقول لكم لكم بل انقساماً".
- ٩- ويؤرخ يوحنا ١: ٢٩-٤٩ دعوة المسيح باليوم التالي لمجيئه من عند يوحنا المعمدان.
بينما يؤرخ مرقس ١: ١٢-٢٠ الدعوة بعد أربعين يوماً من التعميد والتجريب.
- ١٠- وفي متى ٤: ١٩-١٢ أن المسيح دخل كفر ناحوم قبل دعوة بطرس وأندراوس.
بينما في مرقس ١: ٦ أن ذلك كان بعد دعوة بطرس وأندراوس.
- ١١- وفي تلاميذ المسيح، اتفقت الإنجليل الأربع على خمسة أسماء: ١- سمعان، ٢- أندراؤس، ٣- فيليبس، ٤- وبونا، ٥- وبهودا الإسخريوطى. لكن هذه الإنجليل اختلفت في تسمية أسماء – فيكون المجموع أربعة عشر تلميذاً.
والأسماء في متى ١٠: ٤-٢ وفي مرقس ٣: ١٤-١٩ وفي لوقا ٦: ١٣-١٦ وفي يوحنا ١: ٤٠-٤٥ .
- ١٢- وفي موعدة الجبل يتناقض إنجيل متى مع نفسه.. ففي ٥: ١٧ أن المسيح جاء ليكمل الناموس لا ليقضيه..
بينما في ٥: ٣٢، ٣٨، ٣٩ أنه جاء فنقض الناموس وغير أحکامه.
- ١٣- وفي متى ١٢: ٤٨-٤٦ أن الذين قالوا للمسيح – بعد النزول من الجبل – إن أمه وإخوته – في الخارج
يطلبون أن يكلموه، واحد.
- بينما في مرقس ٣: ٣١-٣٣ أنه الجميع.
- ١٤- وفي متى ١٣: ٣-٢ أن المسيح تكلم بالأمثال بعد هيجان البحر.
بينما في مرقس ٤: ٢ أنه كان قبل هيجان البحر.
- ١٥- وفي متى ٢٠: ٣٤-٢٩ أن الذين شفاهم المسيح من العمى – بعد خروجه من أريحا – اثنان، ولمس أعينهما.
أما في مرقس ١٠: ٤٦-٥٢ فهو واحد، ولم يلمس عينه.
- ١٦- وفي متى ١٥: ٣٠-٢٩ أن المسيح قد شفى – عند بحر الجليل – جمعاً من الخرس.
بينما في مرقس ٧: ٣١-٣٥ أنه واحد فقط.

١٧ - وفي لوقا ٨: ٤٩ أن الذي أبلغ يسوع عن حالة ابنة رئيس المجمع واحد.
وفي مرقس ٥: ٣٥ أنهم جمع.

وفي متى ٩: ١٨ أن البنت كانت قد ماتت
وفي نفس السفر - من نفس الإنجيل - ٢٤ أنها كانت نائمة.

١٨ - وفي متى ١٤: ٢١-١٥ أن الذين أكلوا من الأرغفة الخمسة والسمكتين كانوا خمسة آلاف رجل، ما عدا النساء والأولاد.

بينما العدد في مرقس ٦: ٤٤-٣٥ نحو خمسة آلاف رجل.. وهو عددهم في لوقا ٩: ١٢-١٧ أي لم يكن هناك نساء ولا أولاد.

١٩ - وفي تاريخ العشاء الأخير.. نجده عند متى ٢٦: ١٧-١١ قبل عيد الفصح والإفطار بيومين.
ولكن يوحنا يجعله قبل الفصح بستة أيام.

٢٠ - وهناك اختلاف في مكان العشاء الأخير.. ففي متى ٢٦: ٦، ١٩-٢١ أنه كان في بيت سمعان الأبرص..
و عند يوحنا ١٢: ٣-١ أنه كان في بيت مريم ومرثا ولعازر، في بيت عنيا.

٢١ - وفي متى ٢٦: ١٩-١٨ أن التلاميذ جميعاً قد أعدوا العشاء الأخير.

وفي مرقس ١٤: ١٦-١٢ أن الذي أعده تلميذان.

٢٢ - وفي متى ٢٦: ٢٨-٢٧ إن المسيح شرب في العشاء الأخير كأساً واحدة.
وفي لوقا ٢٢: ٢٠-١٧ أنه شرب كأسان.

٢٣ - وفي ميعاد الصليب خلاف.. في مرقس ومتى ولوقا: كان يوم الجمعة.. مرقس ١٤: ١-٥٣ وعند يوحنا ١٣: ١، ٣٨-١٩: ٣٠ كان يوم الخميس.

٢٤ - وفي مرقس ٨: ٣٤-٣٥ نجد المسيح يطلب من تلاميذه أن يقدموا أنفسهم للموت كما فعل هو.
وفي متى ٢٦: ٤٢-٣٨ نجد المسيح يحزن ويكتئب ويتمنى عدم الصليب والموت.

٢٥ - وي متى ٢٦: ٥٢-٥١ نجد المسيح ينهي عن حمل السلاح.

وفي لوقا ٢٢: ٣٦-٣٥ يأمر بحمل السيف.

٢٦ - وفي تقييم المسيح لبطرس خلاف.. ففي متى ١٦: ١٨ لا يمكن دخول الشيطان في بطرس.
وفي نفس متى ١٦: ٢٣ يصف المسيح بطرس بأنه شيطان.

٢٧ - وفي لوقا ٢٢: ٢٢، ٧١-٥٤: ١-٥ أن محكمة المسيح كانت في اليوم التالي للقبض عليه، وفي بيت رئيس الكهنة.

وفي مرقس ١٤: ٥٣-٥٨ أن المحكمة كانت في نفس يوم القبض عليه، وأمام مجمع اليهود.

٢٨ - وفي لوقا ٢٣: ١١ أن الجنود الذين سخروا من المسيح أثناء محكمته هم جنود هيرودس.
أما في مرقس ١٥: ١٥ فهم جنود بيلاطس.

٢٩ - وفي مرقس ١٥: ١٥.. وفي متى ٢٧: ٣٢ أن سمعان القيررواني هو الذي حمل الصليب إلى موضع جمجمة.

وفي يوحنا ١٩: ١٧ أن المسيح هو الذي حمل الصليب.

٣٠ - وفي لون رداء المسيح عند المحكمة خلاف.. ففي متى ٢٧: ٢٧-٢٩ كان لونه قرمزياً.
أما في مرقس ١٥: ١٧ فلونه أرجواني.

٣١- وفي مارقس ١٥: ٣٢، ٢٧ أن المسيح صلب معه لصان.

وفي لوقا ٢٣: ٤٣-٣٩ أنه لص واحد.

٣٢- وفيما قال المسيح، وهو على الصليب، خلاف..

ففي مارقس ١٥: ٣٤ أنه "صرخ بصوت عظيم قائلاً: ألوى ألوى لم شبقتنى؟" أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟!

وفي لوقا ٢٣: ٤٦ و"نادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبناه، في يديك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح".

وفي يوحنا ١٩: ٣٠ "فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أكملا، ونكسر رأسه وأسلم الروح".

٣٣- وفي مارقس ١٥: ٢٥ أن الصليب كان في الساعة الثالثة يوم الجمعة.

وفي يوحنا ١٩: ١٨-١٤ أنه كان في الساعة السادسة يوم الجمعة.

٣٤- وفي توقيت زيارة النساء لقبر المسيح خلاف..

فهو في مارقس ١٦: ٢ "إذا طلعت الشمس".

وهو في يوحنا ٢٠: ١ "والظلام باق"

٣٥- وفي متى ٢٨: ٥ رأت النساء الملائكة جالسا على الحجر عند القبر.

وفي مارقس ١٦: ٥ لم تر النساء الملائكة جالسا على الحجر.

٣٦- وفي متى ٢٨: ١ أن النساء كن اثنان.

وفي مارقس ١٦: ١-٢ أنهن كن ثلاثة نساء.

٣٧- وفي مارقس ١٦: ٥ أن النساء رأين شاباً جالساً عند القبر.

وفي متى ٢٨: ٢ أنهن رأين ملائكة جالساً على الحجر.

وفي لوقا ٢٤: ٣ أنهن رأين رجلين واقفين.

وفي يوحنا ٢٠: ١٢ أنهن رأين ملاكين جالسين.

٣٨- وفي لوقا ٢٤: ٤ أن يسوع هو الذي أقام نفسه من الموت.

وفي أعمال الرسل ٤: ١٠ أن الله هو الذي أقامه من الأموات.

٣٩- وفي عدد مرات ظهور يسوع لللاميذ بعد القيمة خلاف..

ففي متى ٢٨: ١٦-١٧ أنها مرة واحدة.

وفي يوحنا ٢٠، ١٩، ٢٦ أنها مرتان.

وفي نفس يوحنا ٢١: ١٤-١٥ أنها ثلاثة مرات.

٤٠- وفي مارقس ١٦: ٩-١٠ أن يسوع ظهر أول ما ظهر بعد قيامته لمريم المجدلية.

وفي لوقا ٢٤: ١٣ أنه ظهر لاثنين متوجهين لقرية عمواس.

٤١- وفي زمان ومكان صعود المسيح إلى السماء خلاف..

ففي لوقا ٢٤: ١-٥ أنه كان في أيام الفصح، من بيت عنينا.. خلال ٢٤ ساعة من خروجه من القبر.

وفي أعمال الرسل ١: ٩-٣، ١٢ أنه كان من جبل الزيتون، بعد ٤٠ يوماً من خروجه من القبر.

٤٢ - وفي يوحنا ٣: ١٣ أن المسيح وحده هو الذي صعد إلى السماء.. "وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء".

وفي الملوك الثاني ٢: ١١ أن إيليا صعد إلى السماء.. "وفيهما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء".

وفي التكوين ٥: ٢٤ أن أخنون صعد إلى السماء.. "وسار أخنون مع الله، ولم يوجد، لأن الله أخذه".

٤٣ - وفي المقصود من مجيء المسيح خلاف..

ففي يوحنا ٩: ٣٩ أنه جاء ليدين العالم.

وفي نفس يوحنا ١٢: ٤٨-٤٧ أنه لم يأت ليدين العالم.. "لأنني لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم".

٤٤ - وفي ألوهية المسيح خلاف..

ففي يوحنا ٢٠: ١٧ يقول المسيح لمريم المجدلية: "إني أصعد إلى أبي وأبكم وإلهي وإلهكم".

أما في رسالة بولس إلى أهل رومية ٩: ٥ فيقول بولس: "ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهًا مباركا إلى الأبد".

٤٥ - وفي مساواة المسيح للأب خلاف..

ففي يوحنا ١٠: ٣٠ "أنا والأب واحد".

وفي نفس يوحنا ٤: ٢٨ يقول المسيح: "لأنني قلت أمضي إلى الآب، لأن أبي أعظم مني".

وفي نفس يوحنا ١٧: ٣ "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع الذي أرسلته".

وفي مرقس ١٢: ٢٩-٢٨ "الرب إلينا إله واحد".

وفي لوقا ١٨: ١٩ "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله".

٤٦ - وفي متى ٩: ٩ دليل على أن متى كاتب الإنجيل ليس هو متى الحواري.. فهو يتحدث عن متى الحواري بضمير الغائب: "وَفِيمَا يُسْوِعُ يَجْتَازُ مِنْ هَنَاكَ، رَأَى 'يُسْوِعَ' إِنْسَانًا جَالَّا عَنْدَ مَكَانِ الْجَبَابِيَّةِ اسْمُهُ مَتَّى، قَالَ 'يُسْوِعَ' لَهُ 'مَتَّى' اتَّبِعْنِي، فَقَامَ 'مَتَّى' وَتَبَعَّهُ".

تلك مجرد إشارات لنماذج من التناقضات التي تكشف عن أن هذه الأنجليل هي في الحقيقة "مجمع" للاختلافات والتناقضات.. الأمر الذي يحيل ويستحيل - معها - أن ممثلة لكلمات الله.. ولوحبيه الذي أنزل على المسيح - عليه السلام.

لذلك كله، كان حديث القرآن الكريم عن إنجيل عيسى - الذي هو ذكر من الله.. وفيه هدى ونور.. هو حديث عن إنجيل لا وجود له الآن.

وكان حديثه - أيضا - عن هذه الأنجليل التي كتبها النصارى بأيديهم.. فنسوا فيها حظاً مما جاء به المسيح - عليه السلام - وساروا في ذلك على خطى اليهود في التحرير لكلمات الله.. فقال القرآن الكريم:

﴿فَبِمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحرَّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ وَلَا تَرَالُ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمَنِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَحَدْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبُعْضَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُبَئِّثُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

(المائدة: ١٤، ١٣)

هذا عن التحريف.. الذي وقع للتوراة والإنجيل..
والذي شهدت به وعليه وقائع هذه الكتب.. والعلماء الخبراء من أهلها.. كما شهد به القرآن الكريم.
والذي، رغم ذلك، ينفيه وينكره مؤلف هذا "المنشور التصيري"!
بل لقد ذهب كاتب هذا "المنشور التصيري" - ص ٣٢ - فكذب ودلس وافترى على الإمام الفخر الرازى، بأنه يقول بتواتر روايات النصارى للإنجيل - كما سيأتي تفصيل الحديث عن هذا الكذب والتلليس والافتراء في نهاية هذا الحوار مع كاتب هذا "المنشور"^(١).

٢٦- لمزيد من نماذج وقائع التناقضات والتحريفات في "الكتاب المقدس" انظر: عبد السلام محمد عبد الله "هل الكتاب المقدس معصوم؟"
طبعه مكتبة النافذة - القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

(٢)

المسيحية ديانة موحدة

وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب.. وتحت هذا العنوان.. ادعى كاتب هذا "المنشور التنصيري" أن "كلمة الله" .. التي هي المسيح، تعني "عقل الله" وقدرته على إعلان ذاته وتنفيذ إرادته.. فالكلمة هي العقل - اللوجوس. وفي الحوار مع هذه الدعوة نقول:

• إذا كان المسيح هو كلمة الله.. وإذا كانت الكلمة - المسيح - "تعني العقل الإلهي وقدرته على إعلان ذاته وتنفيذ إرادته".

• وإذا كان المسيح - الكلمة.. العقل - قد ولد من مريم.. فهل قبل المسيح كان الله بلا عقل وبلا قدرة على إعلان ذاته وتنفيذ إرادته؟!

وإذا قيل: إن عقل الله اتحد بال المسيح - أي بالناسوت - في رحم مريم.. فهل دخل الله بعقله في رحم مريم؟!.. أم دخل عقله وحده رحم مريم، ويقى بلا عقل؟!.. وإذا كان الله قد اتحد بال المسيح في رحم مريم - اتحاد اللاهوت والناسوت - فهل كان الله يدير الكون، ويعلن ذاته وينفذ إراداته من داخل رحم مريم؟!

• وهذا كان الثلاثة - الآب.. والابن.. والروح القدس.. هم واحد - لا ثلاثة - مثل حرارة الشمس.. وضوئها، المتخذان بها - كما يحلو لهم التمثيل بذلك في تفسير "وحدة الثالوث" .. فإن الضوء وحده لا يقوم بوظيفة الشمس.. وكذلك الحرارة وحدها لا تقوم بوظيفة الشمس.. وإنما لابد من كل مكونات الشمس: الضوء.. والحرارة وغيرها للقيام بوظائف الشمس.

لكن المسيحيين يجعلون المسيح إليها كاملاً يقوم بكل وظائف الإله، حتى لقد جعلوه بديلاً للآب.. فهو - عندهم - خالق كل شيء.. وبه كان كل شيء.. وبدونه لم يكن شيء.. وهو الآلـف والباء.. وبذلك سقط "تسويق" وحدة الثالوث، بالقياس على مكونات الشمس.

لقد تجاوزوا التثلث وتعدد الآلهة إلى الشرك، الذي حل فيه المسيح محل الله - الآب.

ولقد سبق للإمام الفخر الرازي أن سد الطريق على النصارى في هذا التخريج الذي حاولوا به جمع المتناقضات - التثلث والتوحيد - وذلك عندما عرض مذهبهم هذا فقال:

"إنهم يقولون: إن أقنوم لكتمة اتحد بوعيسى عليه السلام، فأقنوم الكلمة إما أن يكون ذاتاً أو صفة، فإن كان ذاتاً فذات الله قد حلـتـ في عيسى واتـحدـتـ بـعـيسـىـ، فـيـكـونـ عـيسـىـ هوـ الإـلـهـ عـلـىـ هـذـاـ القـوـلـ".

وإن فلنا: إن الأقنوم عبارة عن الصفة، فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى غير معقول.

ثم، بتقدير انتقال أقنوم العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى يلزم خلو ذات الله عن العلم، ومن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً."^(٢٧).

• أما كون المسيح - في القرآن الكريم - "كلمة الله"

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾

(النساء: ١٧١)

فمعناها: خلق الله.. كلمات الله لا نهاية.. أي خلقة ومخلوقاته.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا تَفَدَّتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَنُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

(لقمان: ٢٧-٢٨)

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنْفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

(الكهف: ١٠٩)

فكلمات الله هي خلقه.. ووحيه.. وقضاؤه.

* أما كون المسيح - في القرآن - هو روح من الله.

﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾

(النساء: ١٧١)

فإنها لا تعني ألوهيته.. فلقد نفح الله - سبحانه وتعالى - في آدم من روحه.. ولم يقل أحد إن آدم قد صار إليها بسبب احتواه على روح من الله.

﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾

(السجدة: ٩)

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾

(الحجر: ٢٩)

• ثم إن هذا القرآن الكريم - الذي يستشهد به هذا الكتاب، في هذه المواطن، وبهذه الآيات، ليوهم قراءه انحياز القرآن لعقائد النصرانية في ألوهية المسيح.. إن هذا القرآن هو ذاته الذي نفي نفياً قاطعاً ألوهية المسيح وبنوته لله، وحكم على من قال ذلك بالكفر والشرك.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِيقَةٌ كَانَا يُأْكُلُانِ الطَّعَامَ ا�ْظُرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَتَى يُؤْفِكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نُفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَتَنَبَّعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

(المائدة: ٧٧-٧٦)

هذا هو القرآن الكريم، الذي يحاول كاتب هذا المنشور التنصيري أن يستشهد به.. يعلن أن المسيح: كلمة الله.. أي خلقه.. نفح فيه من روحه.. كما نفح في آدم من روحه.. وأنه - المسيح - عبد الله ورسوله، كالآخرين من الرسل.. وأن الذين ألهوه، وقالوا بالتنزيه قد كفروا بالوحدانية.. وسقطوا في مستنقع الإشراك بالله الواحد الأحد.

- وأما تقويض القرآن الكريم للمسيح - عليه السلام - معجزات الخلق.

﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً طِيرًا فَإِنْفَخْ فِيهِ فَيَكُونُ طِيرًا يَأْذِنُ اللَّهُ﴾

(آل عمران: ٤٩)

فهو معجزة بإذن الله، وليس خلقاً ابتدائياً كخلق الله.

وكذلك شفاءه للمرضى.. وإحياءه للموتى.. هو إعجاز بإذن الله:

﴿وَأَبْرَئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

(آل عمران: ٤٩)

فهو إعجاز يظهره الله على يديه، وليس ثمرة لألوهيته.. وإنما كان شريكاً لله في الخلق والإحياء والإماتة.. والشراكة تعنى الشرك لا التوحيد.. ثم إنه هو - المسيح - مخلوق الله بإعجاز دون إعجاز خلق آدم - عليهم السلام -.

- واستدلال الكتاب بآية سورة الزخرف:

﴿وَإِنَّهُ لَعِلمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَأَتَبْعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

(الزخرف: ٦١)

استدلال يجعل القرآن المسيح من علامات الساعة.. يتتجاهل أن هذه الآية مسبوقة بالأية ٥٩ التي تقول:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَعْمَنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَا مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

(الزخرف: ٥٩)

فهو عبد الله ورسوله.. جعله آخر أنبياء بنى إسرائيل وعلامات الساعة - كل علاماتها - مخلوقة الله الواحد الأحد.. وليس من بينها عالمة تشارك الله في الألوهية والخلق.. ولم يقل عاقل إن علامات الساعة - وهي كثيرة - هي آلة مع الله!.

- وميلاد المسيح بلا اب بشري، لا يعني ألوهيته.. وإنما كان آدم - عليه السلام - أولى بذلك.. فقد خلق دون أب ولا أم.. إنهم خلق الله.. وكلمات الله.. خلقوا بقدرة الله الواحد الأحد:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ حَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

(آل عمران: ٥٩)

فهو معجزة، خلقه الله دون أب.. والإعجاز في خلقه أقل من الإعجاز في خلق آدم.. ولذلك عبر القرآن الكريم بلفظ: "كمثل آدم" .. والمشبه "خلق المسيح" لم يبلغ - في الإعجاز مبلغ المشبه به "خلق آدم".

- وإذا كان المسيح قد جاء بمعجزات كثيرة، فإنما كان ذلك لغلاطة القلوب والعقول والرقارب في بنى إسرائيل.. وإن فتكفي للداعي معجزة واحدة تتم بها المفارقة للواقع والخرق لقوانينه، والتحدي المعجز، المعلن عن صدق الرسول.

- ثم إن المسيح - عليه السلام - قد تألم.. وبكي.. وصرخ.. واستغاث.. وهي من نواقص البشر الممتازين - فضلاً عن الأنبياء - وإن تكون نواقص خارجة عن نطاق التبليغ عن الله.

• وقبل كل هذا وبعده.. فإن مصدر عقائد المسيحية في الألوهية المسيح وبنوته الله، وصلبه.. مصدرها الأنجليل، التي ثبتت - بالعقل والنفل واستقراء واقعها - افتقارها للشروط الضرورية التي يجعلها مصدر صدق لنظرية اجتماعية أو فلسفية، فضلاً عن أن تكون مصدر صدق لدين من الأديان.

• إن ألوهية المسيح.. وبنوته الله:

- ترفضها أسفار العهد القديم.. وترفضها اليهودية.. التي جاء المسيح - عليه السلام - ملتزماً بشرعيتها وعقيدتها.. ومضيافاً إليها "التعاليم".

- ويرفضها القرآن الكريم.. والإسلام.. ويعدها شركاً بالله وكفراً بوحدانيته.

- وإذا كانت الأنجليل - التي ذكرت في دواوين المعرفة والموسوعات والدراسات المسيحية، قد وصل عددها إلى مائة إنجيل.. فإنه لم يقل باللوهية المسيح، من بين تلك الأنجليل المائة، سوى إنجيل واحد هو إنجيل يوحنا!!.

فهل من الجائز: والمعقول أن تهمل كل الأنجليل الأخرى الإشارة إلى هذه العقيدة المحورية - الألوهية وطبيعة الإله - ويفرد بها إنجيل واحد - من بين مائة إنجيل؟!.

بل لقد أنكرت هذه العقيدة - ألوهية المسيح - كثير من هذه الأنجليل، التي قالت إن المسيح مخلوق، كان بعد أن لم يكن، وهو عبد الله ورسوله.

بل لقد ظلت هذه العقيدة - القائلة إن المسيح هو عبد الله ورسوله - العقيدة السائدة في النصرانية إبان القرون الأولى من تاريخ المسيحية.

• وإذا كان عمدة الأدلة المسيحية على ألوهية المسيح هو أنه "الكلمة" - كلمة الله - فإن كل أسفار التوراة تأتي فيها "الكلمة" بمعنى: الوحي.. أو الأمر الإلهي.. أو الرسالة النبوية، عند أنبياء العهد القديم.. ولم تشر هذه الأسفار بمصطلح "الكلمة" إلى المسيح - ابن مريم - أو أي مسيح آخر.

وكذلك صنع القرآن الكريم.. فكلمة الله - كما سبق وأشارنا - هي: قوله... وحيه.. ووعده.. وقضاؤه.. وحكمه.. خلقه..

﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِمًا ﴾

(المؤمنون: ١٠٠)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

(هود: ١١٩)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾

(الأعراف: ١٣٧)

﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلِياُ ﴾

(التوبه: ٤٠)

﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾

(التوبه: ٧٤)

﴿ وَالْزَّمْهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾

(الفتح: ٢٦)

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضَى بَيْنَهُمْ ﴾

(يونس: ١٩)

﴿ أَنَّ اللَّهَ يُشَرِّكَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾

(آل عمران: ٣٩)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُشَرِّكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾

(آل عمران: ٤٥)

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾

(النساء: ١٧١)

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا ﴾

(الكهف: ١٠٩)

• وفي الأنجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنائس النصرانية لم يرد مصطلح "الكلمة" في متى ومرقس.. وورد في لوقا بنفس معناه في أسفار العهد القديم word "إسمعوا الكلمة التي تكلم بها رب عليكم يا بيت إسرائيل" إرميا ١: ١ .. وقال عن يوحنا المعمدان: "كانت الكلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية" إصلاح ٢: ٣ .. وعن يسوع: "إذا كان الجميع يزدحم عليه ليسمع الكلمة الله" إصلاح ٥: ١.

كما أطلق مصطلح "الكلمة" على تعليم تلاميذ المسيح للناس: "وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا" أعمال ٤: ٤ .. وعلى تعليم بولس: "هكذا كانت الكلمة الرب تنمو وتقوى بشدة" أعمال ١٩: ٢٠ .

هكذا انفق التراث اليهودي - في أسفار العهد القديم - وأنجيل: متى ولوقا ومرقس وأعمال الرسل على أن معنى "الكلمة" هو التعليم.. أو الوحي.. أو الأمر الإلهي الصادر عن قصد واختيار من قبل الله تعالى إلى الناس عن طريق إنسان معين، هو النبي أو تابع النبي.

ومع العهد القديم وهذه الأنجليل وقف القرآن الكريم في معنى "الكلمة".

لكن الشذوذ الذي أوقع المسيحيين في تأليه المسيح - عليه السلام - قد جاء من الإنجيل الوحيد - إنجيل يوحنا - الذي فسر "الكلمة" - أي المسيح - بأنها العقل logos وهو المعنى اليوناني الذي ساد في الفلسفة الوثنية اليونانية.. فجعل المسيح - كلمة الله - عقل الله، ومن ثم فهو متحد به.. أي إله!!.

ولذلك، كان هذا الإنجيل هو الوحيدة.. من بين الأنجليل - المعتمدة - وهي أربعة - وغير المعتمدة - والتي يصل عددها في بعض الدراسات إلى مائة إنجيل - كان هذا الإنجيل هو الوحيدة الذي ادعى كاتبه ألوهة المسيح، لأنه "الكلمة" - بمعنى "العقل" - عقل الله - ومن ثم كان هذا الإنجيل وحده هو المصدر لعقيدة الحلول والاتحاد والتثليث والتاليه للمسيح.

ففي هذا الإنجيل - وحده - جاء: "في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله" يوحنا ١: ١ . وبعد هذا التصوير ل الكلمة بأنها هي الله.. ذهب هذا الإنجيل - وحده أيضا - فجعل الكلمة كيانا مستقلا: "والكلمة صار جسدا، وحل بيننا" يوحنا ١: ١٤ .. فدخل في الحلول والاتحاد والتعدد.

ثم ذهب هذا الإنجيل – وحده فأوغل على درب الوثنية والشرك إلى حيث جعل الكلمة – المسيح – بديلاً عن الله، قائماً بكل وظائف الإله!.. "هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به، كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" يوحنا 1: 2-3.. وهكذا نجد هذا الإنجيل – الذي انفرد بتاليه المسيح.. وانفرد بتبني المعنى اليوناني الوثني للكلمة – العقل.. اللوجس، والنزعـة الغنوـصـية اليونـانـية.. الحلوـلـية.. نـجـدـهـ قدـ جـمـعـ كـمـاـ هـائـلـاـ مـنـ التـاقـضـاتـ..

فإذا كانت "الكلمة" هي الله، فكيف تشير الكلمة – الله – جسداً حل بيننا؟!.. هل خلق الله ذاته وجعلها جسداً؟!.. أم أنه خلق جسداً – كما يخلق كل المخلوقات؟.

وإذا كان قد خلق وصيـرـ جـسـداـ حلـ بيـنـناـ.. فـكـيفـ يـحلـ هـذـاـ المـخـلـوقـ مـحـلـ الـخـالـقـ،ـ فـيـكـونـ بـهـ كـلـ شـيـ كـانـ،ـ وـبـغـيرـهـ لـمـ يـكـنـ شـيـ مـاـ كـانـ؟!..

ولـاـ مـخـرـجـ لـهـؤـلـاءـ الـذـينـ اـعـتـدـواـ فـيـ أـمـ الـعـقـائـدـ – الـأـلـوـهـيـةـ – عـلـىـ عـبـارـاتـ شـاذـةـ انـفـردـ بـهـاـ – وـشـذـ – إـنـجـيلـ وـاحـدـ – عـلـىـ عـكـسـ الـأـنـجـيلـ الـتـيـ اـقـرـبـ عـدـدـهـ مـنـ الـمـائـةـ.. وـعـلـىـ عـكـسـ معـنـىـ الـكـلـمـةـ فـيـ الـعـهـدـ الـقـدـيمـ وـالـتـرـاثـ الـيـهـودـيـ.. وـعـلـىـ عـكـسـ الـقـرـآنـ،ـ وـالـتـرـاثـ الـإـسـلـامـيـ.. وـعـلـىـ عـكـسـ معـنـاـهـاـ فـيـ أـنـجـيلـ أـخـرـىـ.. لـاـ مـخـرـجـ لـهـمـ مـنـ هـذـهـ التـاقـضـاتـ،ـ الـتـيـ أـدـخـلـتـ الـحـلـولـ وـالـاتـحـادـ وـالـتـعـدـ وـالـشـرـكـ وـالـوـثـنـيـةـ إـلـىـ التـوـحـيدـ الـنـصـرـانـيـ.. لـاـ مـخـرـجـ لـهـمـ إـلـاـ عـودـةـ إـلـىـ الـمـعـنـىـ الـحـقـيقـيـ لـلـكـلـمـةـ..

• وهي الله • ووعد الله • وقضاء الله • وحكم الله • وخلق الله.

بدلاً من المعنى الوثني، الذي شاع في الفلسفة الوثنية اليونانية – العقل.. اللوجس – والذي تسرّب إلى المسيحية عندما تروّمت، واتخذت صورتها الرومانية – على يد بولس.

وبهذه العودة إلى أصول النصرانية الموحدة.. ومعاني الكلمة في التراث الديني التوحيدية، تعود المسيحية إلى حقيقتها: تعاليم المسيح – عليه السلام – وبشارته، في إطار دين الوحدانية والتوكيد لله الواحد الأحد.. الفرد الصمد.. الذي لم يلد ولم يولد.. ولم يكن له كفواً أحد.

• أما تعلق القائلين بألوهية المسيح – عليه السلام – بما جاء في بعض الأنجليل من وصفه بأنه "الاب" أو ابن الله.. "يدعى ابن الله" لوقا 1: 35.. فإن البنوة هنا مجازية.. لا تعني الألوهية.
لقد زعمت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَئْتُمْ بَشَرًّا مِّنْ خَلْقَ﴾

(المائدة: ١٨)

ولم يزعم واحد منهم أن هذه البنوة تعني الوهيتهم مع الله، أو من دون الله.. وفي المؤثر الإسلامي: "الخلق عباد الله، وأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله".

ومثل ذلك مصطلح "الرب" الذي يطلق "حقيقة" على الله الواحد الأحد.. بينما يطلق "مجازاً" على رب البيت وسيده.. ولقد قال يوسف – عليه السلام – عن سيده ورب البيت الذي يعيش فيه:

﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مُثَوَّايَ﴾

(يوسف: ٢٣)

فاستخدم مصطلح "الرب" بمعناه المجازي.. لكنها استخدمه بمعناه الحقيقي عندما قال:

﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

(يوسف: ٩٨)

وغرير - وعجيب - أن يقود الخلط بين الحقيقة والمجاز إلى لشرك بالله العلي العظيم.

ولن يغنى هؤلاء نفعاً محاولات التأفيق بين التعدد وبين التوحيد، عن طريق المثل الذي يكررون، فيقولون: إن ثلاثة الآب.. والابن.. والروح القدس، إله واحد، مثلاً أن ضوء الشمس، وحرارتها، هما - مع الشمس - واحد.

ذلك أننا نسألهم:

- ولماذا الوقوف عند الثلاثة أقانيم؟

إن الشمس - مع الحرارة.. والضوء - لها - أيضاً - استداره.. ولمعانها.. وخصائص كثيرة أخرى.. فلم لا نفتح الباب للمزيد من العدد في الأقانيم؟!..

ثم.. إن الأقانيم إذا كان صفة استحال انتقاله من الذات إلى الآخر.. وإن كان ذاتاً لزم التعدد، وانتهى التوحيد - كما سبق وأوردنا كلام الإمام الفخر الرازي.

...والحل إنما يمكن في نقاط التوحيد.. والتنتزه للذات الإلهية، عن مشابهة المحدثات.. فالله - سبحانه وتعالى - ليس كمثله شيء.. وكل ما خطط على بالك فالله ليس كذلك - كما هو الحال في عقيدة الوحدانية والأحادية والتنتزه في عقائد الإسلام.. التي هي العقيدة في دين الله الواحد، من آدم إلى محمد، عليهم الصلاة والسلام.

• وإذا كانت عقيدة المسيحيين في الخطيئة - أي خطيئة آدم، عليه السلام - بأكله من الشجرة، تقول إن البشرية كلها قد حملت لعنة هذه الخطيئة - بأجيالها المتعاقبة من آدم إلى المسيح - وأن فداء البشرية وخلاصها من هذه اللعنة قد اقتضى أن يقدم الآب ابنه - المسيح - ليموت على الصليب فداء وخلاصاً للبشرية من هذه اللعنة وهذه الخطيئة.

فإن هذه العقيدة المسيحية - في الخطيئة.. ولعنتها - إنما تصل القمة في الظلم، والزروة في الأخلاق!.. بينما لا يتصور عاقل أن يقيم دين على أنقاض العدل والأخلاق.

حتى لو افترضنا جدلاً أن خطيئة آدم لم تتم توبته منها، وغفران الله له ذنبه، فإن العدل الإلهي يقتضي أن يكون الوزر - ومن ثم العقاب - على آدم، الذي اقترف الوزر، وارتکب الخطيئة.. وليس من العدل - حتى الإنساني.. فضلاً عن الإلهي - أن تتحمل البشرية - بأجيالها المتعاقبة - اللعنة لوزر لم ترتکبه وخطيئة لم تكتسبها.

• ثم.. أليس الله - سبحانه وتعالى - وهو التواب الرحيم - قادر على أن يغفر الذنوب ويتجاوز عن الخطايا، دون أن يضحي بابنه الوحيد؟!..

إن القرآن الكريم يضع موازين العدل الإلهي عندما يقول:

﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَلَا تَنْزِرُ وَازْرَةً وِزْرَ أُخْرَى ﴾

(الإسراء: ١٥)

وعندما يقول:

﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيَبْيَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(الأنعام: ١٦٤)

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾

(غافر: ١٧)

- ثم.. ألم يهلك الله.. في طوفان نوح - عليه السلام - كل العصاة.. وكتب النجاة للأبرار.. فما المبرر لبقاء لعنة الخطيئة عالقة بالبشرية - البريئة - حتى تحتاج إلى صلب وقتل وفداء؟!.
- بل إن في بعض نصوص الكتاب المقدس - بعدهيه القديم والجديد - ما يشهد للعدل الإلهي، الذي لا يحمل أي نفس إلا ما كسبت - ومن ثم تنفي هذه النصوص الأسس الأخلاقية التي قامت عليها عقيدة الخطيئة والصلب والفاء وتآليه المسيح وبنيته لله..

ففي سفر التثنية ٤: ١٦ "كل إنسان بخيطته يقتل" ..

وفي حزقيال ١٨: ٢٠ "النفس التي تخطئ هي تموت" ..

وفي إنجيل متى ١٢: ٣٦ ٣٧ "لا لأنك بكلامك تبرر وبكلامك تدان".

فهذه النصوص - مع القرآن الكريم - مع العدل والمنطق - تنسف الأسس الأخلاقية التي أقام عليها المسيحيون عقيدة الخطيئة.. والتي ربتوها عليها عقائد़هم فيألوهية المسيح وبنيته لله.. والصلب والفاء والخلاص.

- ثم.. أليس غريباً وعجبياً - بل ومربياً - أن يعتمد في العقيدة الأم - الألوهية - على إنجيل تحف به الكثير من الشبهات؟.. فضلاً عن شذوذه، في تأليه المسيح، عن غيره من الأنجليل؟!.

لقد قال الأب روجي - في كتابة "مقدمة إلى الإنجيل" - عن هذا الإنجيل - إنجيل يوحنا:

"إن عالم آخر!!.. فهو يختلف عن الأنجليل الأخرى في ترتيب واختيار المواضيع والروايات والخطب، كما فيه اختلافات في الأسلوب والجغرافيا والتعاقب الزمني للأحداث، وفي منته أكثر من عنوان معارض، وزيادة على ذلك فإن فيه اختلافاً في الأفق اللاهوتية - كما يقول "أ. كولمان": "إلى درجة أن أقوال المسيح تساق بشكل مختلف لدى كل من يوحنا والمبشرين والآخرين.."."

- وكما انفرد هذا الإنجيل - إنجيل يوحنا - بتأليه المسيح. كذلك انفرد بالاختلاف مع الأنجليل الأخرى في العديد من الواقع والأحداث..

- فهو الوحيد الذي يذكر حضور أم يسوع لصلبه.

- وهو ينكر أن تكون أم المسيح اسمها مريم!.. ويقول إن مريم هي أخت أمه وزوجة كلوبيا!.

- وهو وحده الذي يذكر وجود يوحنا - الحواري - واقفاً عند يسوع وقت صلبه.. ثم يعود فيقول إنه كان مختبئاً مع سائر تلاميذ المسيح!.

- كما ينفرد بجعل مريم المجدلية تقف مع أم يسوع وحالته - مريم - وتلميذه يوحنا عند الصليب.

- وينفرد بأن مريم المجدلية هي الوحيدة التي شهدت بأنها رأت يسوع بعينيها وتكلمت معه بعد قيامته من الموت، وهو بعد عند قبره لم يصعد إلى السماء.

- ويعتقد "أ. كولمان" أن الإصلاح ٢١ من هذا الإصلاح هو من عمل أحد التلاميذ، الذي أضاف - أيضاً - بعض اللمسات إلى متن الإنجيل.

- وهناك اتفاق على أن الفقرات من الإصلاح ٧: ٥٣ إلى الإصلاح ٨: ١١ "هي نص مجھول الأصل"، الحق فيما بعد بهذا الإنجيل.

– كما أن هذا الإنجيل – وبالدشة – لم يذكر شيئاً عن رواية تأسيس القربان – والذي أصبح ركناً من أركان الطقوس الكنسية "القدس" ..^(٢٨)

- كما امتلاً هذا الإنجيل – إنجيل يوحنا – بالتناقضات..

– ففي ٧: ٦ تعليم المسيح ليس من عنده.

وفي ١٠: ٣٠ التعليم من عنده.

– وفي ٣: ٢٢، ٢٦ أن المسيح ثعمَد.

– وفي ٤: ٣-١ المسيح لا يُعَمَّد.

• ولأن هذا هو حال هذا الإنجيل.. فلقد قالت عنه "دائرة المعارف البريطانية" – وهي أكثر موسوعات الغرب المسيحي موضوعية ومصداقية.. والتي تصدرها دولة ملكتها هي رئيسة الكنيسة فيها.. قالت:

"إن إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذي نص بكل صراحة على ألوهية المسيح، حيث نقل عنه أنه قال: "أنا والآب واحد" ١٠: ٣٠ و"الذي رأني فقد رأى الآب" ١٤: ٩ و "أنا في الآب والآب فيي" ١٤: ١٠ ."

ويتعارض هذا الإنجيل مع الأنجليل الأخرى في أمور مهمة جداً وحاسمة:

– فهو يذكر أن المسيح صلب يوم ١٤ نيسان "أبريل"، بينما يفهم من بقية الأنجليل أن الصليب كان يوم ١٥ نيسان.

– ولا يذكر يوحنا في إنجيله تفاصيل رواية القربان المقدس، أو العشاء الأخير، التي أصبحت فيما بعد شعيرة من شعائر المسيحية.

– ولا يذكر أن المسيح تعمَد بواسطة يوحنا المعمدان.

– وفي حين يفهم من إنجيل يوحنا أن رسالة المسيح استغرقت ثلاثة أعوام، فإنه يفهم من الأنجليل الأخرى أنها استغرقت عاماً واحداً.

– ويوحنا هو الوحيد الذي ذكر أن المسيح أخبر تلاميذه قبل صلبه أنه سيرسل "الفارقليط".

– ولقد أوردت الموسوعة البريطانية قول الأسقف "بابياس" – المتوفى سنة ١٣٠ مـ – أي المعاصر لمرحلة كتابة الأنجليل – عن وجود أكثر من يوحنا – يوحنا بين زبدي، الحواري.. ويوحنا آخر هو الكاهن في "أفسس"^(٢٩) .. وفي داخل الإنجيل – إنجيل يوحنا – يفهم أنه كتب بواسطة حواري مجهول الاسم.

وبما أن الشواهد الداخلية والخارجية مشكوك فيها، فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هي:

"أن إنجيل يوحنا ورسالته حررت في مكان ما في الشرق، ربما في أفسس، كإنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيوحنا في نهاية القرن الأول الميلادي"^(٣٠).

ذلك هي الحقائق حول إنجيل يوحنا.. الحقائق التي تطرح السؤال المنطقي:

– هل هناك منطق يبرر أخذ العقيدة الأم – عند الكنائس النصرانية – عقيدة ألوهية المسيح – عن مثل هذا الإنجيل، الذي لا علاقة له ولا لكتابه بعصر المسيح.. ولا اتساق بينه وبين غيره من الأنجليل – المعتمدة منها.. فضلاً عن غير المعتمدة – التي ترفض وتنتقض تأليه المسيح – عليه السلام؟!

• إن في أنجليل أخرى – غير إنجيل يوحنا – نصوصاً تشهد على التوحيد.. وتعلن أن المسيح – عليه السلام – سيترأ – يوم الحساب – من الذين ألهوه وعبدوه واستعنوا به، بدلاً من عبادة الله الذي في السموات.

٢٨ – جعفر حسن عتريس "التوراة والإنجيل والقرآن بين الشهادات التاريخية والمعطيات العملية" ص ١٦٣ – ١٨٠ طبعة دار الهادي – بيروت سنة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ مـ.

٢٩ – مدينة قيمة في آسيا الصغرى، على بحر إيجة.. من عواصم المسيحية في القرون الأولى.

٣٠ – "الموسوعة البريطانية" المجلد الثاني ص ٩٥٥.

ففي متى ٧: ٢١-٢٣ "ليس كل من يقول يارب يدخل ملوك السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أليس باسمك تتبنا وبااسمك أخرجننا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم: إنني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم".

ففي هذا النص يعلن المسيح براءته من الذين توسلوا باسمه بدلاً من اسم الله الواحد الذي في السماء..

ونحن عندما نتأمل هذا النص نذكر على الفور ما جاء في القرآن الكريم:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَتَأْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَخْدُونِي وَأَمَّي إِلَهُنِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ تَعْلُمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ ﴾١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتُنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دَمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتِنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(المائدة: ١١٦-١١٨)

تلك هي قصة السقوط المسيحي في تأله المسيح، والكفر بالوحدانية والأحدية.. واستبدالهم التثليث بالتوحيد.. وهذا هو المصدر الوحيد – إنجيل يوحنا – الذي انفرد – بتأله المسيح.. وهذا هو حال هذا الإنجيل ومكانه من المصداقية في هذا الأمر الخطير.

الأمر الذي يطرح هذا السؤال، الذي ندعو عقلاً المسيحيين إلى التفكير الجدي في الإجابة عليه.. لأن القضية قضية دين.. وليس عصبية للباطل.. قضية آخرة وحساب وجزاء.. وجنة ونار.. وليس مغالبة على حطام الدنيا الفانية – التي لا خير فيها ولا قيمة لها إذا لم تكن وعاء لطاعة الإله الواحد الحق.. والسبيل إلى السعادة الأبدية في يوم الدين.. يوم لا ينفع الناس ولا يغنى عنهم شيئاً أبداً من الأخبار الذين ضلوا وأضلوا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْجَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(التوبه: ٣٤)

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾٣٠) اتَّخَذُوا أَحْجَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾٣١) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْتِيَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهُ الْكَافِرُونَ ﴾٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهُ الْمُشْرِكُونَ ﴾٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْجَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(التوبه: ٣٠-٣٤)

(۳)

حول العاصمة.. والخطيئة.. والمعجزات

وحتى "يُسُوق" كاتب هذا "المنشور التصويري" عقيدة النصارى في الوهية المسيح.. ذهب لنفي العصمة عن كل الأنبياء والمرسلين.. وإلصاق الخطيئة بكل البشر - ومن فيهم الأنبياء والمرسلون - واعتبار طبيعة البشر "طبيعة ساقطة" .. وذلك باستثناء شخص واحد هو المسيح - ليكون متقدراً وحده دون البشرية جموعاً - ول يكن من ثم - الله، وليس عبد الله ورسولاً! ..

ولهذا، قال صاحب هذا "المنشور التصيري" ص ٢٢، ٣٦:

"إنه حتى الأنبياء لم يكونوا معصومين من الخطية.. وأن كل البشر - حتى الأنبياء المرسلين - ليس فيهم من له خلاص كامل من عقاب الخطية... استثناء شخص واحد هو المسيح، فهو الكامل كاماً مطلقاً بلا أية خطية فعلية أو أصلية، فهو غير مولود وارثاً طبيعية الخطية الأصلية من آبينا آدم".

- ولقد ذهب هذا "المنشور التصيري" في نفي العصمة.. وإثبات الخطيئة على الأنبياء والمرسلين، إلى محاولة تأويل القرآن الكريم تأويلاً فاسداً كي تشهد لدعواه.. ذهب ليشهد على نفي العصمة من الأنبياء: -بدعاء نوح - عليه السلام -

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالدَّيْ

(٢٨:

– وداع إبراهيم – عليه السلام –

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالدَّيْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ

(اپر اہیم: ۱۴)

- كما ذهب فاستشهد بالعهد القديم - كتابه المقدس - على أن نوح عليه السلام - قد سكر وتعرى - تكوين ٩: ٢١ ..
وأن إبراهيم - عليه السلام - قد كذب، وفرط في زوجته - تكوين ٢: ٤٢ .
• ونحن نقول:

إن عقيدة العصمة للأئمّة والمرسلين: ضرورة عقلية لكمال الله - سبحانه وتعالى - ولحكمته، في اصطفاء الأئمّة والمرسلين.. ولمصداقية الرسالات التي أرسلهم الله بها إلى الناس.

فمن العبث - الذي يتزه عنه عقلاً البشر - أن يختار الإنسان رسولاً يبلغ رسالة وأمانة دون أن يكون هذا الرسول جديراً بجذب المصداقية إلى هذه الرسالة وهذه الأمانة.

وإذا كان ذلك عنوانا لحكمة البشر الأسوية، فما بالنا بحكمة الحكيم العليم، الذي هو أعلم حيث يجعل رسالته؟

- ثم إن هذه العصمة للأئمّة والمرسلين هي عصمة فيما يبلغون عن الله.. وعما ينفر أو يشين.. وليس عصمة من مطلق الاجتهادات التي قد لا تتوافق الأولى والصواب.. فهم في الاجتهادات غير مقصومين، لكن الله - سبحانه وتعالى - لا يقرّهم على الاجتهادات التي تخالف الأولى والصواب، وذلك حتى لا يكوننا قوّة وأسوة فيها.

ومن ثم فإن إثبات أي من الأنبياء والمرسلين لاجتهدات تخالف الأولى - في غير التبليغ عن الله - ودعاء هؤلاء الأنبياء والمرسلين ربهم كي يغفر لهم هذه الأخطاء، لا ينافي العصمة الواجبة لهم فيما يبلغون عن الله، والتي هي من

مقضيات الحكمة الإلهية، وانتقاء النصوص والعبتية عن ذاته المتصف بكل صفات الجلال والكمال.. كما أنها من ضرورات المصداقية للرسالات والأمانات التي حملوها إلى الناس.

وفي الإسلام.. تقرر أن العصمة للأنبياء والمرسلين فيما يبلغون عن الله عقيدة من العقاد التي كفر منكرها.. لأنها من العقاد التي تستلزم صفات الحكمة والكمال والجلال الواجبة لله – سبحانه وتعالى – ولقد تحدث الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ هـ - ١٩٠٥ م) عن عقيدة العصمة هذه، وعن معانيها وأبعادها فقال:

"إن من لوازم الإيمان الإسلامي: وجوب الاعتقاد بعلو فطرة الأنبياء والمرسلين، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما غهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه المسيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تتباوا عنه الأبصار وتتفر منه الأذواق السليمية، وأنهم منزهون عما يضاد شيئاً من هذه الصفات المتقدمة."

وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسقط عليها سطوة روحانية.. إن لنفسهم من نقاء الجوهر، بأشد الفطرة، ما تستعد به، من محض الفيض الإلهي، لأن تتصال بالافق الأعلى، وتنتمي من الإنسانية إلى الذروة العليا، وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقله أو تحسسه بعنصري الدليل والبرهان، وتنتفى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحاً على ما يتفاوه أحدهنا من أستاذة التعاليم، ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ما علمت دعوة الناس إلى ما حملت على إبلاغه إليهم.

فهؤلاء الأنبياء والمرسلون من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص.. يعلمون الناس من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به، مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده.

يميزهم الله بالفطر السليمية، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يطيقون للاستشراف بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشفوا لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرعون على الغيب باذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وببداية الغائب، فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها.

ثم يتلقون من أمره أن يحذثوا عن جلاله بما خفي من العقول من شئون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الأخروية، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد من متناول أفهمهم، وأن يبلغوا عنه شرائع عامة، تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم، وكبح شهواتهم، وتعلمهם من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشفائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفضيله، اللامع علمه بأعمق ضمائرهم في إجماله، ويدخل في ذلك جميع الأحكام المتعلقة بكليات الأفعال، ظاهرة وباطنة.

ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات، حتى تقوم لهم الحجة، ويتم الإقناع بصدق الرسالة، فيكونا بذلك رسلاً من لدنه إلى خلفه مبشرين ومنذرين.."^(٣).

ذلك هي النظرة القرآنية، والعقيدة الإسلامية في اصطفاء الله للأنبياء والمرسلين.. وفي تميزهم.. وامتيازهم.. وعصمتهم عن كل ما ينفر أو يشين.

• لذلك .. فإننا نجد أنفسنا – في عقيدة العصمة للأنبياء والمرسلين – أمم مدرستين، في الفكر الديني:

١- المدرسة القرآنية: التي تقرر العصمة للأنبياء والمرسلين فيما يبلغون عن الله.. وما ينفر أو يشين.. وذلك انطلاقاً من عقيدة التنزية للذات الإلهية عن العبئية.. ووجوب بالحكمة والكمال لذاته.. سبحانه وتعالى – فيما يصطفى من الأنبياء والمرسلين.

٢- ومدرسة أسفار العهدين القديم والجديد: التي تزدري الأنبياء والمرسلين، عندما تجردتهم من العصمة.. وتصفهم بالأوصاف الرديئة التي يتتبّعها الناس الأسواء، فضلاً عن المختارين المصطفين من الأنبياء والمرسلين، الذي صنعهم الله على عينه.

• فأبو الأنبياء إبراهيم الخليل – عليه السلام – في هذه المدرسة – اليهودية النصرانية – يخطئ في تقدير أخلاق المصريين – عند دخوله إلى بلادهم – ويتواطأ مع زوجه سارة على الكذب.. وعلى الدياثة.. وإسلام زوجه الجميلة

٣١ - محمد عبده "الأعمال الكاملة" ج ٣ ص ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٠٦ - دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م، وطبعة دار الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

لمن يعاشرها في الحرام.. طمعا في الغنم والبقر والحمير والجمال والعبيد يعطيها له فرعون مصر لقاء زوجته الجميلة! تكوين ١٢: ٢٠ - ٢١.

• بينما صورته في القرآن الكريم، هي صورة أبي الأنبياء.. الأمة.. والإمام.. والصالح.. المصطفى في الدنيا والآخرة.. والأواب.. الحليم.. المنيب.. الصديق.. خليل الرحمن.. والأسوة الحسنة.. والناظر في الملوك ليقيم الدليل العقلي على التوحيد.. ومحطم الأصنام.. ومظهر البيت الحرام، ورافع قواعده الذي صارت النار ببرداً وسلاماً عليه.. والممتنع لأمر ربه أن يذبح ولده البكر الحبيب والوحيد.. والذي عليه سلام الله.

• وكذلك الحال مع نبي الله لوط - عليه السلام..

- صورته في العهد القديم صورة الذي سكر وزنى بابنته - تكوين ٩: ٣٠ - ٣٨.

- بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة العبد الصالح.. صاحب العلم والحكمة والناهي عن الفحشاء والمنكر.. والمظاهر الذي نجاه الله.

وكذلك الحال مع نبي الله داود عليه السلام.

صورته في العهد القديم هي صورة الفاسق المتصاص على عورات الناس والزاني والمتامر والقاتل والمغتصب للنساء والزوجات - صموئيل الثاني ١١: ٢٦ - ١.

- بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة الخليفة.. الأواب الذي سبّحت معه الطير والجبال وصاحب الزلفى وحسن المآب.

وكذلك الحال مع نبي الله سليمان عليه السلام.

صورته في العهد القديم هي صورة زير النساء الخارج عن أوامر رب الباني التُّصُب لعبادة الأوثان من دون الله والعبد لهذه الأوثان - الملوك الأول ١١: ١ - ١١.

- بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة صاحب العلم والفضل الذي علمه الله منطق الطير وأعطاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده والشاكر لأنعم الله.

وإذا كان هذا الازدراء للأنبياء والمرسلين في مدرسة العهد القديم قد طال الكثير من الأنبياء والمرسلين فإن تبني النصارى للعهد القديم، ولما جاء فيه عن ازدراء الأنبياء ونفي العصمة عنهم قد ورط هؤلاء النصارى فيما لا يحبون وضد ما يدعون.

فكاتب هذا المنشور التنصيري الذي ينفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين والذي يجعل المسيح وحده الكامل كاماً مطلاقاً بلا أية خطيبة فطالية أو أصلية فهو غير مولود وارثاً لطبيعة الخطيبة الأصلية من أبينا آدم.

فقد تجاهل أن تبني منهج الازدراء للأنبياء ونفي العصمة عنهم قد قاد إلى القول بأن مريم عليها السلام التي ولدت المسيح هي من نسل خطيبة الزنا! فهي من نسل داود الزاني وداود هذا هو من نسل يهوذا - الزاني والذي من نسله توالى أبناء الزنا حتى مريم عليها السلام - تكوين ٣٨: ١ - ٢٩.

• إنها مدرسة الازدراء للأنبياء والمرسلين النافية للعصمة والتي أساءت وتسيء إلى حكمة الله - سبحانه وتعالى - في اصطفاء هؤلاء الأنبياء والمرسلين^(٣٢).

• بل لقد تصاعد هذا الازدراء في هذه المدرسة حيث طال الذات الإلهية تعالى الله عما يصفون.

- فنسبوا إلى الله الحزن والأسف "فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه" تكوين ٦: ٦ ..

- ونسبوا إليه سبحانه - نقض العهد "نقضت عهد عبديك" المزامير ٨٩: ٣٩.

- ونسبوا إليه البداء وتغيير الرأي والرجوع عن التدبير والقضاء "غير الرب رأيه" خروج ٥: ١.

٣٢ - انظر كتابنا "الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس بين العصمة والازدراء" طبعة مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٩ م.

• وإنما في هذا الضلال حتى يستأثر المسيح – عليه السلام – وحده في هذا المنشور التصويري بالكمال المطلق لتأليهه ذهب كاتب هذا المنشور التصويري بعد نفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين إلى نفي المعجزة عن رسول الإسلام محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – فقال – ص: ٩:

"إن محمدا لم يأت بمعجزة" وذلك ليس بحسب للمسيح وحده من المعجزات مالا نظير لها عند أي من الأنبياء والمرسلين.

• ونحن في الرد على هذه الفرية نقول: إن المعجزة هي خارق العادة المفارق للسنن المعتادة الذي يظهره الله – سبحانه وتعالى – على أيدي الأنبياء والمرسلين تحديا لأقوامهم الذين يعجزون عن الإيمان بأمثالها وذلك إقامة للحجج على هؤلاء الأقوام بأن هؤلاء الأنبياء والمرسلين صادقون فيما إليه يدعون.

• ولقد تميزت المعجزات في الضوء الذي سبق دعوة الإسلام بأنها كانت معجزات مادية تدهش العقول وذلك تناسبا مع طور طفولة العقل البشري فلما بلغت الإنسانية سن الرشد وغدا لملكة العقل الإنساني سلطان في الهدي والرشاد جاءت معجزة رسول الإسلام عقلية لا تدهش العقل فتشله عن الفعل وإنما تستفره وتستثنه ليتفكر ويتدبر في الإعجاز الذي جاء به القرآن الكريم والذي تحدى به الإنس والجن تحديا أبدا أن يأتوا بشئ من مثل هذا الذي جاء بالقرآن الكريم.

ولقد أعلن أساطير الفصاحة والبلاغة والبيان خصوصهم وخشوعيهم أمام هذا الإعجاز القرآني المتحدي وشمل هذا المشروع والخصوص عددا من الذين ظلوا على وثنيتهم وعلى شركهم لكنهم لم يستطيعوا إلا أن يعلنوا أن هذا الإعجاز القرآني فوق طاقات البشر وملائكتهم ومن ثم فهو من عند الله..

فاما التحدي المعجز .. والإعجاز المتحدي:

﴿ الْمَ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة: ٢، ١)

﴿ وَإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت: ٤٢، ٤١)

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِطُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

﴿ إِنَّهُ لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ (٧٨) لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الواقعة: ٧٧-٨٠)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَاجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

(النساء: ٨٢)

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلَهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(يونس: ٣٧، ٣٨)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلَيُأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾
 (الطور: ٣٤، ٣٣)
 ﴿ الْ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
 لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾
 (السجدة: ١-٣)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ (١٣) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمٍ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
 (هود: ١٣، ١٤)
 ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَرَرَنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شَهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
 لِلْكَافِرِينَ ﴾
 (البقرة: ٢٣، ٢٤)

أمام هذا التحدي المعجز والإعجاز المتحدي دائمًا وأبداً خشيحت ملائكة الفصاحة والبلاغة والبيان لدى البشر - كل البشر - فقالت إن هذا القرآن ليس قول بشر وإنما هو كلام الله..

• فأبُو عبد شمس، الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (٩٥ ق.هـ - ١٥٣٠-٦٢٢ هـ) - وهو من زعماء قريش وزنادقتها ومن قضاة العرب في الجاهلية والملقب بالعدل لأنَّه كان عدل قريش كلها قال عندما سمع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سورة غافر: "والله لقد سمعت من محمد كلاماً آنفاً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن.

والله ما هو بكاهن فقد رأينا الكاهن فما هو بزمزة الكاهن ولا سجه.
 والله ما هو بمجنون فقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.
 والله ما هو بشاعر فقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقربيضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بشاعر.
 والله ما هو بساحر فقد رأينا السحار وسحرهم فما هو ببنفته ولا عقده.
 والله إن لقوله حلاوة وإن عليه طلاوة وإن أصله لمغدق وإن فرعه لمثمر وإن يعلو ولا يعهلى عليه وما أنتم "يا
 عشر قريش" بقائلين فيه من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل".
 • كما شهد عتبة بن عبد شمس أبو الوليد (٢٦٤ هـ) وهو من سادة الشرك بمكة لهذا القرآن المعجز
 فقال: "لقد سمعت من محمد قوله ولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة والله ليكون
 لهذا الذي سمعت نباً عظيم".

٣٣ - الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي "سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" ج ٢ ص ٤٧٢، ٤٧٣ - تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد - طبعة القاهرة سنة ١٤١٨ هـ - سنة ١٩٩٧ م.

٣٤ - "مختصر سيرة ابن هشام" لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعاذري - ج ١ ص ١٨٧ - طبعة القاهرة ١٤٢٢ هـ - سنة ٢٠٠٢ م.

• ولقد ظل هذا الإعجاز القرآني متحدياً وظللت هذه المعجزة القرآنية متفردة حتى شهد لها الشهود في عصرنا الحديث ووأقعنا المعاصر:

فالدكتور طه حسين (١٣٠٦-١٩٧٣ هـ/١٨٨٩-١٩٩٣ م) وهو أحد أبرز بلغاء العصر والخبراء في صناعة الفصحى والبيان شهد بأن هذا القرآن لا علاقة له بصناعة البشر وأنه متفرد بكونه من عند الله فقال: لقد قلت في بعض أحاديثي عن نشأة النثر عند العرب.

إن القرآن ليس شعراً ولا نثراً وإنما هو قرآن له مذاهبه وأساليبه الخاصة في التعبير والتوصير والأداء.

فيه من قيود الموسيقى ما يخيل لأصحاب السذاجة أنه شعر وفيه من قيود القافية ما يخيل إليهم أنه سجع وفيه من الحرية والانطلاق والترسل ما يخيل إلى بعض أصحاب السذاجة الآخرين أنه نثر.

ومن أجل هذا خدع المشركون من قريش فقالوا: إنه شعر وكتبوا في ذلك تكنيباً شديداً ومن أجل هذا خدع كذلك بعض المتبتعين لتاريخ النثر فظنوا أنه أول النثر العربي وتكتنفهم الحقائق الواقعة تكنيباً شديداً فلو قد حاول بعض الكتاب الثائرين وقد حاول بعضهم أن يأتوا بهم مثله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يضحك ويثير السخرية^(٣٥).

• وتحدى سعد زغلول باشا (١٣٤٦-١٩٢٧ هـ/١٨٥٧-١٩٢٣ م) وهو ابن الأزهر الشريف.. وتلميذ الأفعاني (١٣١٤-١٨٣٨ هـ/١٨٩٨-١٩١٤ م) ومحمد عبده عن هذا الإعجاز القرآني فقال: "لقد تحدى القرآن أهل البيان في عبارات قارعة محرجة ولهجة واخزة مرغمة أن يأتوا بهم مثله أو سورة منه فما فعلوا ولو قدروا ما تأخروا لشدة حرصهم على تكتنفيه ومعارضته بكل ما ملكت أيمانهم واتسع له إيمانهم.. فهذا العجز الواضح بعد ذلك التحدي الصارخ هو أثر تلك القدرة الفائقة وهذا السكوت الذليل بعد ذلك الاستفزاز الشامخ هو أثر ذلك الكلام العزيز"^(٣٦).

• كما شهد المستشرق الإنجليزي والقسیس الأنجلیکانی "مونتجمری وات" (١٩٠٩-٢٠٠٦ م) بعد خمسة وثلاثين عاماً في دراسة القرآن والإسلام واللغة العربية، وبعد إنجاز دراسته العليا في الفلسفة الإسلامية وتأليفه العديد من الكتب في الإسلام وتاريخه وحضارته - شهد بأن القرآن هو وحي الله المباشر إلى محمد، وأنه الآية الإلهية المعجزة لكل البشر المستحيلة على المحاكاة والتقليد، ودعا اليهود والنصارى إن كانوا أوفياء حقاً لحقيقة اليهودية والنصرانية إلى الإيمان بهذا القرآن.. كما أعلن مونتجمری وات أن التحريف قد لحق بالتوراة والأنجيل، بينما ظل القرآن محفوظاً من التحريف والتغيير والتبدل..

نعم أعلن مونتجمری وات وهو القسیس ابن القسیس الذي خدم في كنائس لندن وأدينبوره والقدس ذلك فقال: "إن الوحي الإسلامي لابد من تناوله بجدية".

إن القرآن صادر عن الله وبالتالي فهو وحي وليس كلاماً ملائياً بل هو نتاج تفكيره وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن مهداً ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولاً ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين.

وهناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة، وقد تأكّد ذلك عملياً بانتشار الإسلام في العالم كله، وقبله بشر من كل الأجناس تقريباً.. إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته، لأنه يتناول القضايا الإنسانية.

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول: إن كلمات القرآن ليست نتيجة أي تفكير واع منه.

إن القرآن لا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عقيرية بشرية.

وإن التجربة النبوية مع الوحي يمكن إيجاز ملامحها الرئيسية فيما يلي:

١- محمد يشعر وهو في حالة وعي أن هناك كلمات بعينها تلقى في روعه أو تحضر في قلبه أو عقله الوعي.

٢- وأن هذه الكلمات والأفكار لم تكن أبداً نتيجة أي تفكير واع من جانبه.

٣- وأنه يعتقد أن هذه الكلمات التي ألقاها في روعه من قبل مندوب أو مبعوث خارجي يتحدث إليه كملك.

٣٥- د. طه حسين: "الفتنة الكبرى - عثمان" ص ٣٢ طبعة دار المعرف - القاهرة سنة ١٩٨٤ م.

٣٦- سعد زغلول - تقديم كتاب "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" لمصطفى صادق الرافعي - طبعة القاهرة - الأولى - سنة ١٩٢٦ م.

٤- إنه يعتقد أن هذه الرسالة قادمة من الله - تعالى - وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التي أوحيت إليه كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي، لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وما كان ليشر أن يتحدى الله، وليس من شك في أنه ليس من قبيل الصدفة أيضاً أن كلمة "آية" تعني علامة على القدرة الإلهية وتعني أيضاً فقرة من الوحي.

وعندما تمت كتابة هذا الوحي شكل النص القرآني الذي بين أيدينا..

وفي الحديث عن جمع القرآن نجد أن كلمة (جمع) قد استخدمت في آيات قرآنية مهمة:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَائِكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

(القيامة: ١٩-١٦)

ومن الممكن أن يكون التفسير الطبيعي لهذه الآيات: أن محمداً ما دام يتبع تلاوة ما يتلوه عليه جبريل فإن الله متكفل بجمع الآيات المتفرقة أو التي أوحى بها في أوقات مختلفة ل يجعلها في سياق واحد.

وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور أن زيد بن ثابت (١١١ق.هـ - ٤٤٥هـ) أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل ومن هنا فإن كثيراً من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه.

إن القرآن كان يسجل فور نزوله وقد جمع رسميّاً "سنة ٣٠ هـ - سنة ٦٥٠ م"

ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم في حالة نقاء لا عرفوا بالرسالة التي ألقاها الله عليهم عن طريق محمد تماماً كما فعل ورقة بن نوفل (١٢١ق.هـ / ٦١١م) الذي أفادت الروايات أن استجابته كانت إيجابية لمحمد.

ومن هنا يمكن أن نقول إن إشارات القرآن إلى تحريف لحق اليهودية والمسيحية بصورتها الموجدة في أيام "أيام محمد" قول صحيح.

إن القرآن يؤكّد أن الإسلام هو دين مطابق لدين إبراهيم الخالص وثمة ما يؤكّد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم في حالة نقاشه الأولى^(٣٧).

هكذا شهدت ملكات الصالحة والبلاغة والبيان وملكات الفكر والمنطق والعقلانية في المحيط العربي وخارجها من المسلمين وغير المسلمين للإعجاز القرآني المتحدي على امتداد عمر الإسلام منذ أن نزل الوحي بهذا القرآن وحتى هذا العصر الذي نعيش فيه.

فهل يصح بعد هذا أن يقول كاتب هذا المنشور التصيري: "إن محمداً لم يأت بمعجزة"؟!

- وإذا كان مفهوم المعجزة عند كاتب هذا المنشور التصيري هو المعجزة المادية التي كانت طابع المعجزات في الرسائلات التي سبقت الإسلام والتي كانت ملائمة لطفولة العقل البشري - التي تتوقف لما يدهش العقل. فإن بلوغ البشرية سن الرشد قد اقتضى تحولاً في طبيعة الإعجاز فكانت معجزة القرآن عقلية تستثمر العقل للتعقل والتبرير والتفكير وتحكم إليه وتعلى سلطانه.

- مونتجميرو وات "الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر" ص ٢٢-٢٢٦ - ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ - طبعة القاهرة - ٣٧
مكتبة الأسرة - سنة ٢٠٠١م.

ولقد كان الوثنيون جريا على المأثور في النبوات السابقة يطلبون من رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - أن يأتיהם بالمعجزات المادية وليس بالقرآن المعجزة العقلية:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَآبَى أَكْثُرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِنْ نَخِيلٍ وَعَنْبَ فَتَحْجَرَ الْأَنْهَارَ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيقَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءُهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلَنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنُكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِيَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴾

(الإسراء: ٩٦-٨٩)

لقد كانوا يطلبون المعجزات المادية التي تدهش العقول فتشلها عن التفكير لكن رسول الإسلام قال لهم إن الله قد شاء أن تكون لمعجزته - القرآن - طبيعة خاصة وجديدة.. أن تكون معجزة عقلية تستنفر العقل وتحتكم إليه، وذلك لتناسب مرحلة بلوغ الإنسانية سن الرشد وتجاوزها مرحلة "الخراف الضالة" ولذلك كان القرآن المعجز المتدي الذي صرف الله فيه من كل مثل..

وعن هذه الحقيقة - حقيقة تغير طبيعة المعجزة في الرسالة الإسلامية - يقول الإمام محمد عبده:

"لقد تآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسى بتصریح لا يقبل التأويل.. فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الغيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحاجة وقاداك إلى لعقل ومن قاصدك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطنته، فالله يخاطب في كتابه الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد، والقرآن قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أنحائها ونشر ما انطوى في أثاثها فالإسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرب لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية، والمرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به^(٣٨) هكذا انتقلت طبيعة المعجزة إلى "كيف جديد" بعد أن بلغت الإنسانية سن الرشد، فلم تعد "الخراف الضالة" فكان القرآن معجزة عقلية ناسبت ذلك الطور الجديد.. وفارقت الطابع المادي للمعجزات الذي ناسب تلك المرحلة التي قال فيها القديس أغسطين (٣٥٤-٤٣٠ م):

"أومن بهذا لأنه محال أو غير معقول!! و قال عنها القديس أغسطين (٣٣-١٠٩ م):

"يجب أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظر فليس الإيمان في حاجة إلى نظر عقل!!!"^(٣٩)

حتى شاعت في ذلك "الفكر اللاعقلاني" مقولات من مثل: "اعتقد وأنت أعمى!!"

وأعمض عينيك واتبعني !!

" وإننا نصدق ونؤمن حتى ولو لم يكن ما نؤمن به معقولا!!"^(٤٠).

• ثم إن هذا الطابع العقلي لمعجزة القرآن الكريم قد واكب ولبي احتياجات كونه المعجزة الخاتمة والخالدة التي ستواكب تقدم الإنسانية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٣٨- "الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده" ج ٣ ص ٣٦٧، ٣٥٧، ٢٨٢، ١٥١، ٢٧٩ - ٢٨١.

٣٩- المصدر السابق ج ٣ ص ٢٧٩.

٤٠- د. أحمد شلبي: "مقارنة الأديان" ج ٢ ص ١٢٤ - طبعة القاهرة.

- كما حقق - وللمرة الأولى - في تاريخ المعجزات اتحاد الرسالة بـ"الإعجاز" وذلك بعد أن كانت "كتب الدين" في الرسائلات السابقة - منفصلة عن المعجزات المادية التي أظهرها الله على أيدي المرسلين.

وإذا كان التحدي - في رسالة الإسلام - قد وقع بالإعجاز القرآني دون سواه، فإن جمهور علماء المسلمين يؤمنون بأن رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - قد أظهر الله على يديه الكثير من المعجزات المادية التي لم يقع التحدي بها.

ولقد تضمن النص القرآني المحكم والقطعي الدلالة والثبوت الحديث عن معجزة مادية كبيرة أظهرها الله على يد رسول الإسلام وتم بها الامتحان والاختبار والتحدي لأهل مكة وهي معجزة الإسراء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام - مكة - إلى المسجد الأقصى المقدس، ثم العودة بإعجاز خارق للقوانين المعتادة في مثل هذه الرحلات:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ
لِتُرِيهَا مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

كما تحدث القرآن الكريم عن معجزة مادية أخرى بالغة في إعجازها - أظهرها الله على يدي رسول الإسلام وهي معجزة العروج به إلى السموات العلي في ليلة الإسراء:

﴿ وَالْجُمْ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا
وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَمَهُ شَدِيدُ الْفُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفْقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَّا فَتَدَلَّى
(٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُوَادُ مَا رَأَى (١١)
أَفَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ
الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَعْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ
رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

(النحل: ١٨-١)

نعم لقد أظهر الله على يدي رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - آيات معجزات مادية كبيرة لكن ظل التحدي فقط بالمعجزة العقلانية، معجزة القرآن الكريم، لأنها الحجة الدائمة أبداً للرسالة الخالدة أبداً، والتي لا يقتصر إعجازها وتحديها على عصر ظهورها، ولأنها الجامحة "للرسالة" و"للإعجاز" جمیعاً.. ولأنها الجامحة للهداي في الدنيا وفي الآخرة ولصناعة الإنسان السوي والمجتمع السوي عبر الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ذلك هي حقيقة معجزة محمد - صلى الله عليه وسلم - التي غفل عنها أو تغافل كاتب هذا المنشور التصويري عندما قال "إن محمداً لم يأت بمعجزة".

وكما كان هدف هذا المنشور التصويري من وراء نفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين وادعاء سقوطهم في الخطيئة والزعم بأن رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - لم يأت بمعجزة..

كما كان الهدف من وراء تنفيص الأنبياء والمرسلين هو إبراز فرادة وتفرد المسيح - عليه السلام - وصولاً إلى تاليهه بدعوى أنه "الوحيد الكامل كاماً مطلقاً بلا أي خطية فعلية أو أصلية، فهو غير مولود وارثاً لطبيعة الخطية الأصلية من أبيينا آدم".

كما كان هذا هو الهدف من وراء "تنقيص الأنبياء والمرسلين" لإفراد المسيح بالكمال المطلق كانت مقاصد هذا المنشور التصويري من وراء بخس الأنبياء والمرسلين حظوظهم في المعجزات لإبراز تفوق المسيح عليهم جميعاً في كم المعجزات وكيفها!

وفي الصفحات ٢٥-٢٦ يسرد هذا المنشور التصويري أربعة عشر إعجازاً يقول إن المسيح قد تفرد بها وأن عددها وطبيعتها تدل على الطبيعة الإلهية للمسيح، ومن هذه المعجزات: إحياء الموتى، وشفاؤه المرضى، وعلمه للغيب إلخ.. إلخ ونحن في الرد على دعاوى توظيف معجزات المسيح - عليه السلام - لتأليهه، ودعواى تفرد في الإعجاز كيما وكم نقول:

إن المعجزة هي عالمة وأية خارقة للعادة يظهرها الله - سبحانه وتعالى - على يد مدعى النبوة والرسالة لتقوم دليلاً معزاً على صدق دعوته يتحدى بها الرسول الذين لا يصدقون دعوته ورسالته.

ووحدة من هذه المعجزات تكفي للبرهنة على صدق الرسول، أما كثرة المعجزات فلها علاقة بمستوى التكذيب لدى القوم، ومستوى الغلظة التي هم عليها، ولا علاقة لكثرة المعجزات بمستوى التكريم للرسول ولا بمنزلته، و إلا فمعجزات موسى - عليه السلام - أكثر في العدد والإدھاش من معجزات أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

ومن معجزات موسى التي استدعتها غلظة قلوب بنى إسرائيل وعtoo فرعون:

١- إنقاذه من الذبح وهو وليد.

٢- وإنقاذه من الغرق في اليم.

٣- وإيحاء الله إلى أمه.

٤- وإرجاعه إلى أمه لترضعه.

٥- ونجاته من فرعون.

٦- وتجلي الله له.

٧- وتکليم الله إياها.

٨- والعصا التي أصبحت حية تلف ما صنع الساحرون، وإحياء العصا أبلغ من إحياء الميت!

٩- وخلق البحر له ولبني إسرائيل كالطود العظيم.

١٠- وهلاك فرعون وملئه.

١١- وتنقؤ الجبل.

١٢- والتقلبات التي حدثت لديه.

١٣- وإنزال المن والسلوى له ولمن معه.. إلخ.. إلخ

• ومثل كثرة المعجزات على يد رسول من الرسل، كثرة الرسل في قوم من الأقوام ليست عالمة تكرير للقوم ورفعاً ل شأنهم بقدر ما هي دليل على غلظة قلوبهم وكثرة خروجهم على هدي الشريعة الإلهية كما هو الحال في بنى إسرائيل، فكثرة المعجزات كثرة الرسل في قوم من الأقوام هي كثرة القوانين في مجتمع من المجتمعات ليست دليلاً على الامتياز بقدر ما هي دليل على غلظة القوم وكثرة عصيانهم وخروجهم على الهدي والقانون.

• لقد قال المسيح - عليه السلام - عن يوحنا المعمدان - عليه السلام -: "الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان"

و مع ذلك فليس ليوحنا المعمدان معجزات!.

• ولقد كان إحياء المسيح الموتى إعجازاً من الله بإذن الله وأعظم منه في الإعجاز، تلك الحياة التي دبت في عصا موسى حتى صنعت المعجزات.

• وإذا كان المسيح - عليه السلام - قد أشبع الجوعى بمعجزة من الله، فإن موسى - عليه السلام - قد أطعم بنى إسرائيل المن والسلوى بمعجزة من الله - الخروج ٤-٣١.

- وأعجب من معجزة المسيح شفاء الأبرص.. معجزة موسى عندما أخرج يده من جيبه سليمة صحيحة ثم أدخلها في عبه فلما أخرجها إذا هي برصاء بيضاء كالثلج فلما رده إلى عبه مرة أخرى ثم أخرجها إذا هي صحيحة سالمة.
- وكذلك معجزة اليشع – الذي جاءه نعمان رئيس آرام ليشفيه من البرص فطلب منه اليشع الاغتسال في نهر الأردن سبع مرات متتالية فبرئ من البرص فور فعله لذلك.
- ومعجزة تشكيل عيسى من الطين كهيئة الطير ثم النفح فيها لتصبح حية بإذن الله أتعجب منها تحول عصا موسى وهي كما هي دون تشكيل إلى حية تسعى وتلتف ما صنع الساحرون.
- ومعجزة عيسى إحياء الموتى بإذن الله لها نظائر مثلاً وأكثر منها وأسبق في معجزات الأنبياء بنى إسرائيل.. فالنبي إيليا – إيلياس – تخبره امرأة بقرية صرفه بموت ولدتها فيرده "إيليا حيا معافي ويقول للمرأة انظري ابنك حي"!
- وأتعجب من هذه المعجزة معجزة اليشع – اليشع – الذي بشر المرأة الشوغية بمولود تلده ويكون في حضنها في مثل هذا الوقت من العام القادم ولما تحققت هذه المعجزة وكبر الولد ومرض ومات سافرت المرأة إلى اليشع وأخبرته بموت ولدتها فجاء إلى قريتها وأحيا الولد بإذن الله.
- ومثل هذه المعجزات – إحياء الميت – قصة ذلك الميت الذي كان يحمله أهله في النعش ليُدفنوه، فلما أبصروا الغزاة فادمين ذعرموا وألقوا الميت فسقط على قبر النبي "اليشع" وبنص العهد القديم الذي يؤمن به النصارى فلما مس جسد الميت عظام اليشع عاش وقام على رجله! – سفر الملوك الثاني ١٣: ٢١ – أي أن اليشع قد أحيا الموتى وهو ميت!! فكان في المعجزات أبلغ وأكثر إدهاشاً من المسيح – عليه السلام!
- ومعجزة المسيح تكثير الطعام القليل أسبق منها وأتعجب ما صنعه اليشع عندما جاءته امرأة من بنى الأنبياء كان زوجها تقيا، فسألته ماذا تفعل وهي فقيرة لا تملك سوى قطارات قليلة من الزيت، مع المرابي الذي يطالبها بسداد الدين الذي عليها، فطلب منها اليشع أن تذهب فتستعير من جميع الجيران كل ما لديهم من الأوعية الفارغة، وقال لها: ثم ادخلني وأغلقي الباب على نفسك وعلى بنيك وصبي في جميع هذه الأوعية زيتنا ثم قال لها اليشع "اذهبي بيعي الزيت وأوفي دينك وعيشي أنت وبنوك بما بقى"! – سفر الملوك الثاني ٤: ٧.
- ومثل هذه المعجزات كذلك ما صنعه اليشع بالأرغفة العشرين عندما أمر خادمه أن يقدمها طعاماً للشعب ليأكلوا منها فلما قال له الخادم:

– ماذ؟! هل أجعل هذا أمام مائة رجل؟!

- قال للخادم: أعط الشعب ليأكلوا لأنه هكذا قال رب: يأكلون ويفضل عنهم فأكلوا وفضل عنهم حسب قول رب. سفر الملوك الثاني ٤: ٤٢، ٤٣.
- وأتعجب من ذلك في الإعجاز والإدهاش ما صنعه النبي إيليا – "إيلياس" – مع المرأة في قرية صرفه عندما طلب منها طعاماً وشراباً إبان القحط والجفاف فلما أخبرته بأن كل ما في بيتها لا يتعذر ملء كف من دقيق، بشرها بأن ما عندها لن ينفد أبداً، وسيكفيها وأسرتها ثلاثة أعوام حتى يجيء المطر فتحقق المعجزة. سفر الملوك الأول ١٧: ٦-٤.
- ومثل هذا وأتعجب معجزة "إيليا" – "إيلياس" – الذي كانت تأتيه الغربان بقوته، وتطعمه في اليوم مرتين، فتأتيه بخيز ولحم صباحاً، وتأتيه بمتلها مساءً، ويشرب من ماء النهر. سفر الملوك الأول ١٣: ٦-٤.
- وعندما هرب إيليا من ملك الإثنيين مخافة أن يقتلوه ونام في مكان مهجور في انتظار الموت من شدة الجوع والعطش "إذا بملك مسه وقال: قم وكل لأن المسافة كبيرة عليك فقام وأكل وشرب وسار بقوه تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب ودخل هناك المغارة وبات فيها. سفر الملوك الأول ١٩: ٥-٩^(٤).

٤١ – انظر في ذلك: حسني يوسف الأطير "تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين" ص ٢٦٧ – ٢٧٢ – طبعة مكتبة النافذة – القاهرة سنة ٢٠٠٥ م.

ففي هذه المعجزات وأمثالها لأنبياء كثرين من الذين بعثوا في بني إسرائيل والتي ورد ذكرها في الكتاب المقدس الذي يؤمن به النصارى فيها ما هو أ عج من معجزات المسيح - عليه السلام - ومع ذلك لم يقل أحد - حتى من النصارى - بألوهية الأنبياء الذين تفوقوا على المسيح في هذه المعجزات.

فلا المسيح قد نفرد بالإعجاز ولا كثرة الإعجاز وإدهاشه دليل على ألوهية من ظهرت على يده هذه المعجزات.

إن كثرة المعجزات وشدة إدهاشها لا علاقة لها بتفضل مراتب الأنبياء والمرسلين، وإنما هي تابعة لغلاطة قلوب القوم الذين بعث فيهم هؤلاء الأنبياء ثم إنها جميعا خلق الله الواحد الأحد الذي خلقها وأظهرها تأييده لعباده الأنبياء والمرسلين.

وهكذا سقطت حجة كاتب هذا المنشور التنصيري التي توسل بها لتأليه المسيح - عليه السلام - عن طريق دعوى تفرد وتميزه في المعجزات وعن طريق تنفيص الأنبياء والمرسلين في العصمة والإعجاز.

وأخيراً

ففقد توسل كاتب هذا المنشور التنصيري بالكذب والتدليس ليصل إلى مقاصده في إثبات عقائد النصارى في تاليه المسيح وصلبه وقتلها على الصليب، وفي سبيل ذلك كذب ونسب إلى الإمام الفخر الرازي رفضه فكرة إلقاء الشبه – شبه المسيح – على يهودا:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُבّهَ لَهُمْ ﴾

(النساء: ١٥٧)

لأن ذلك:

أ – يفتح الباب للسفسطة.

ب – ويضيع الثقة في الإجراءات مثل "النكاح والطلاق والملك"

ج – ويطعن في التواتر وذلك يوجب القبح في جميع الشرائع والسنن التي نقلت للأجيال التالية: أ.هـ

وفي هذا الذي نسبه الكاتب إلى الرازي كذب وتدليس، فالرازي قد أورد هذا الذي ذكره الكاتب في صيغة "الاعتراض المفترض" الذي قد يذكره البعض.. ثم أجاب عليها ناقضاً إياه ورافضاً له وذلك عندما قال تحت عنوان:

والجواب:

"إنا نقول: إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب"^(٤٢) فيبني الرازي أن يكون هناك تواتر فيما قاله النصارى عن صلب المسيح وقتلها، ثم يعود الرازي فيقطع في تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِinَا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾

(النساء: ١٥٧ ، ١٥٨)

يقطع "بان الله – تعالى – أخبر أنهم شاكون في أنه هل قتلوا أم لا، ثم أخبر محمداً بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوا"^(٤٣)

• وانطلاقاً من هذا اليقين بأنهم لم يقتلوا أورد الرازي مذاهب العلماء:

١- مذاهب الذين قالوا: "إن اليهود لما قصدوا قتلها رفعه الله إلى السماء".

٢- ويدرك الذين قالوا إن الله قد ألقى شبيهه على إنسان آخر مع تعدد الآراء فيما كان هذا الإنسان الذي ألقى عليه الشبيه^(٤٤).

لتكون خلاصة رأي الرازي في قضية الصلب والقتل هما:

"أن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوا".

• ولقد كرر الكاتب هذا الكذب والتدليس في حديثه عن رأي الرازي في تحريف اليهود للتوراة وذلك عندما أورد ما ذكره الرازي عن تواترها وأن التشكيك في التواتر يفتح الباب للسفسطة ويضيع الثقة في الشرائع والمعاملات.

كرر الكاتب هذا الكذب والتدليس عندما وقف عند "الاعتراض" الذي أورده الرازي ولم يشر إلى رد الرازي على هذا الاعتراض وتقنيده له!!

٤٢ - "تفسير الرازي" ج ١١ ص ١٠١، ١٠٢.

٤٣ - المصدر السابق ج ١١ ص ١٠٤.

٤٤ - المصدر السابق ج ١١ ص ١٠٢.

ففي تفسير الإمام الرازى لقوله تعالى:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾

(المائدة: ٤١)

قال: "إنهم سماعون للأكاذيب التي كانوا ينسبونها إلى التوراة^(٤٥) كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه^(٤٦) فكانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر^(٤٧):

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾

(البقرة: ٧٩)

ثم خلص الرازى إلى أن اليهود قد حرفوا التوراة بكل ألوان التحرير "التحرير اللفظي" بإخفاء ألفاظ واستبدالها والتحرير المعنوي بالتأويلات الفاسدة التي تخرج النصوص عن معانيها ومقاصدها.. انتهى الرازى إلى ذلك عندما علل استخدام القرآن الكريم في سورة النساء لتعبير:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾

واستخدامه في سورة المائدة تعبير:

﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾

قال: "لقد ذكر الله هنا في النساء عن مواضعه وفي المائدة "من بعد مواضعه" والفرق: أنا إذا فسرنا التحرير بالتأويلات الباطلة فهنا قوله:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾

معناه: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك الألفاظ من الكتاب، وأما الآية المذكورة في سورة المائدة: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يخرجون اللفظ أيضاً من الكتاب فقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ إشارة إلى إخراجه من الكتاب^(٤٨) فالرازى يقطع بأن المسيح - عليه السلام - لم يصلب ولم يقتل، كما يقطع بأن اليهود قد حرفوا التوراة بكل ألوان التحرير - التحرير في الألفاظ، والتحرير في التأويلات الباطلة، وذلك على عكس الكذب والتلبيس الذي نسبه كاتب هذا المنشور التصويري إلى هذا الإمام العظيم فخر الدين الرازى عندما اقتطع من كلام الرازى "الاعتراض - المفترض" ولم يذكر جواب الرازى على هذا الاعتراض^(٤٩).

٤٥- المصدر السابق ج ١١ ص ٢٤٠، ٢٤١.

٤٦- المصدر السابق ج ٩ ص ١٢٠.

٤٧- المصدر السابق ج ٩ ص ١٢١.

٤٨- المصدر السابق ج ٩ ص ١٢٢، ١٢٣.

٤٩- والغريب هو اجماع كثير من كتاب النصارى على هذا الكذب والتلبيس فيما ينسبون إلى الرازى في هذا الموضوع.. صنع ذلك الدكتور ميشال الحايك في كتاب "المسيح في الإسلام" - طبعة بيروت ٤٢٠٠م.. والقصص مرقس عزيز خليل في كتابه "استحالة تحرير الكتاب المقدس" - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م - راجع ردنا على هذه الكتب - ضمن أعمال "مجمع البحوث الإسلامية" - ملحق مجلة "الأزهر" شهر صفر ١٤٢٧هـ.

• وكما كذب كاتب هذا المنشور التنصيري ودلس فيما افتراء على الإمام الرازى، كذلك صنع فيما نسبه إلى الإمام البيضاوى، وذلك عندما صور لقارئه أن البيضاوى لا يتبني نفي صلب المسيح وقتلها، وإنما يقول إن كيد اليهود ذهب وطاش إذ عاد المسيح حيا ورفعه الله إليه.

فكان البيضاوى وفق هذا الكذب والتدليس يعترف بأن المسيح قد قتل، ثم عاد حيا بالقيمة: ونحن نقول إن هذا الذي ادعاه هذا الكاتب على الإمام البيضاوى هو كذب صراحتاً وافتراء بواح فالبيضاوى في تفسيره لآية سورة النساء ١٥٨

﴿ وَمَا قَتْلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَبَّهَ لَهُمْ ﴾

يقول: "روى أن رهطاً من اليهود سبوه وأمه فدوا عليهم فاجتمعوا على قتلهم، فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه إلى السماء، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟"؟ فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب.

وأقيل: كان رجلاً ينافقه خرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب وقتل وقيل: دخل طيطانوس اليهودي بيته كان فيه "المسيح" فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب.
وأمثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة فوق لumen التشبيه بين عيسى والمقتول.
"بل رفعه الله إليه": رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه^(٥٠).

فالبيضاوى يثبت كل الروايات التي تتحدث عن إلقاء شبه المسيح على رجل آخر غيره.. وأن القتل والصلب إنما كان لغيره ويقطع بأن رفعه إلى الله هو "إنكار لقتله" ومن ثم فهو البيضاوى يرفض وينكر عقائد المسيحيين في الصليب والقتل لعيسى عليه السلام.. الأمر الذي يقطع بتعدم كاتب هذا المنشور التنصيري للكذب على علماء الإسلام والتدليس فيما ينسبه إليهم!

• وكما كان البيضاوى واضحًا وحاصلًا ككل علماء الإسلام في نفي الصليب والقتل عن المسيح عليه السلام كان واضحًا وحاصلًا في القطع بأن اليهود قد حرفوا التوراة فقال في تفسيره لآية سورة المائدة: ١٣

﴿ فِيمَا نَقْضَهُمْ مِيثَاقُهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلَنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾

قال "هذا بيان لقصوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والافتراء عليه ونسوا حظاً مما ذكروا به"

وتركوا نصيباً وافياً من التوراة والمعنى أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه^(٥١).
هكذا قال الإمام البيضاوى.. لكن كاتب هذا المنشور التنصيري الذي كذب ودلس على البيضاوى في موضوع صليب المسيح وقتلها، صمت عن موقف البيضاوى إزاء تحريف اليهود للتوراة!!

• وكذلك صنع هذا الكاتب عندما صمت عن رأي الإمام الرازى في تحريف النصارى للإنجيل!! كما حرف اليهود التوراة..

فلقد قال الإمام الرازى في تفسيره آية المائدة: ١٤:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكْرُوا بِهِ ﴾

— قال: "المراد أن سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض المواثيق من عند الله فتركوا الكثير مما أمرهم الله تعالى به"^(٥٢)

^{٥٠} — "تفسير البيضاوى": "أنوار التنزيل زأسار التأويل" ص ١٦٢ - طبعة القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ - سنة ١٩٢٦ م.

^{٥١} — المصدر السابق ص ١٧١.

فهل يمكن أن يكون هذا الكذب والتلليس هو الخلق اللائق بمن يننسب إلى المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام؟! أم أنها المكيافيلية لبست لبوس المنصرين؟!

• إن كاتب هذا المنشور التصويري لو وقف عند تقرير عقائده والدفاع عنها لقلنا: هذا حقه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. ولكنه تجاوز هذا الحق إلى محاولات اختراق القرآن الكريم لقسره على أن يشهد للعقائدنصرانية التي يرفضها من مثل تاليه المسيح وصلبه وقتله.

كما تعمد "تفصيص" الأنبياء والمرسلين بنفي العصمة عنهم ونفي المعجزة عن رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – ليتوسل بذلك إلى تاليه المسيح.. الأمر الذي يدخل في محظور الازدراء لدين سماوي، والازدراء للأنبياء والمرسلين! كما تعمد هذا الكتاب الكذب والتلليس على علماء الإسلام بعد أن تعمد تكذيب القرآن الكريم.

٥٢ – "تفسير الرازبي" ج ١ ص ١٩٣ .. وصدق الله العظيم:

﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَسْتَهْمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِيبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨) مَا كَانَ لِشَرِيكَ اللَّهِ إِلَّا كِتَابٌ وَالْحُكْمُ وَالثُّبُوتُ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُوُنُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ كُوُنُوا رَبَّاً يُنَاهِيَنَّ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾

(آل عمران: ٧٩ ، ٧٨)

التوصية

لذلك فإن التوصية إزاء هذا الكتاب "مستعدين للمجاوبة" هي:

١- عدم تداوله لما يثيره من فتن وكراهية للنصارى بسبب تكذيبه للفرقان وافترائه على علماء الإسلام وازدرائه بالأنبياء والمرسلين.

٢- ونشر هذا الرد ملحقا بمجلة الأزهر لأن التجاوزات التي تضمنها هذا الكتاب قد نشرت بين الناس، الأمر الذي يجعل الرد عليه واجبا لتحصين العقول ضد الأكاذيب والافتراءات.. ولعلم الذين يسلكون هذا الطريق الموج أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قائم على حراسة الشأن الديني لإحقاق الحق وإشاعة الوفاق بين المسلمين بكل ديانات السماء.

والله من وراء القصد.. منه نستمد العون والتوفيق،

دكتور / محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر الشريف

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس – طبعة دار الكتاب المقدس.
- إنجيل مرقس – طبعة دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٥ م.
- ابن هشام: "مختصر سيرة ابن هشام" طبعة القاهرة سنة ١٤٢٢ هـ - سنة ٢٠٠٢ م.
- د. أحمد شلبي: "مقارنة الأديان" طبعة القاهرة.
- د. أحمد عبد الوهاب: "المسيح في مصادر العقائد المسيحية" طبعة مكتبة وهبة – القاهرة سنة ١٩٧٨ م.
- البيضاوي: "تفسير البيضاوي" طبعة القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٦٦ م.
- جعفر حسن عتريس: "التوراة والإنجيل والقرآن بين الشهادات التاريخية والمعطيات العلمية" طبعة دار الهادى – بيروت سنة ١٤٢٤ هـ سنة ٢٠٠٣ م.
- حسني يوسف الأطير: "عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية" طبعة مكتبة النافذة – القاهرة سنة ٤٢٠٠٤ م.
- "تفويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين" طبعة مكتبة النافذة – القاهرة سنة ٢٠٠٥ م.
- الرازى – فخر الدين: "تفسير الرازى" طبعة دار الفكر – القاهرة سنة ١٩٨٠ م.
- زالمان شازار – محرر: "تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث" ترجمة د. أحمد محمد هريدي – تقديم ومراجعة د. محمد خليفة حسن – طبعة المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة سنة ٢٠٠٠ م.
- سبينوزا: "رسالة في اللاهوت والسياسة" طبعة مكتبة النافذة – القاهرة.
- سعد زغلول باشا: تقديم كتاب "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦ م.
- سمير سامي شحاته: "الاختلافات في الكتاب المقدس" طبعة مكتبة وهبة – القاهرة سنة ٢٠٠٥ م.
- الصالحي الشامي – محمد بن يوسف: "سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" تحقيق د. مصطفى عبد الواحد – طبعة القاهرة سنة ١٤١٨ هـ سنة ١٩٩٧ م.
- د. طه حسين: "الفتنة الكبرى – عثمان" طبعة دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٨٤ م.
- عبد السلام محمد عبد الله: "هل الكتاب المقدس معصوم" طبعة مكتبة النافذة – القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.
- د. عبد الوهاب المسيري: "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" طبعة دار الشروق – القاهرة.
- د. فؤاد حسنين على: "التوراة عرض وتحليل" طبعة القاهرة سنة ١٩٤١ م.
- "التوراة الهايروغليفية" طبعة دار الكاتب العربي – القاهرة.
- مجمع اللغة العربية: "معجم ألفاظ القرآن الكريم" طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م.
- محمد السعدي: "حول موثوقية الأنجليل والتوراة" طبعة طرابلس – ليبيا – سنة ١٩٨٦ م.
- محمد عبده – الأستاذ الإمام "الأعمال الكاملة" دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م والقاهرة – دار الشروق سنة ٢٠٠٦ م.
- د. محمد عمارة: "الغارة الجديدة على الإسلام" طبعة نهضة مصر – القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.
- "الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس" مكتبة الشروق الدولية – القاهرة سنة ٢٠٠٩ م.
- "ملاحظات علمية على كتاب المسيح في الإسلام" ملحق مجلة الأزهر – صفر سنة ١٤٢٧ هـ.

محمد فؤاد عبد الباقي: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" طبعة دار الشعب – القاهرة.
مرقس عزيز خليل – القمص: "استحالة تحريف الكتاب المقدس" طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣ م.
مصطفى صادق الرافعي: "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦ م.
د. موريس بوكاى: "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" طبعة دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٧ م.
د. ميشال الحايك: "المسيح في الإسلام" طبعة بيروت سنة ٢٠٠٤ م.

وات – مونتحمرى –: "الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر" ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ – طبعة القاهرة – مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠١ م.

وثائق وموسوعات:

"التصير: خطة لغزو العالم الإسلامي" – وثائق مؤتمر كولورادو – الطبعة العربية – مركز دراسات العالم الإسلامي – مالطا – سنة ١٩٩١ م.

"دائرة المعارف البريطانية"

دوريات:

صحيفة "وطني" – القاهرة.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	• تمهيد
٤	• هذا الكتاب
٦	• صحة التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما
٦	• الأدلة على تحريف التوراة
١٢	• الأدلة على تحريف الإنجليل
٢٥	• المسيحية ديانة موحدة
٣٥	• حول العصمة والخطيئة والمعجزات
٤٧	• وأخيرا
٥١	• التوصية
٥٢	• المصادر والمراجع

لا تنسونا من صالح دعائكم

موقع

الاسلام والعالم

www.islamegy.com